الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

المركز الجامـــــعي أحمد بن يحيي الونشريسي - تيسمسيلت -

معهد الآداب واللُغات

قسم اللُغة و الأدب العربي

قراءة في كِتاب الدكتور البهنساوي

أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث

مذكّرة مقدَّمة لنيل شهادة الماستر في اللّغة و الأدب العربي

تخصّص: لسانيات عربية

إعـداد الطالبتين:

- عاصي رشيدة
- درباح رقية

إشراف الدكتـورة:

- لزرق جازية

أعضاء لجنة المناقشة

د. بوحنيفية	المركز الجامعي تيسمسيلت	رئيسا
د. بحري	المركز الجامعي تيسمسيلت	عضوا مناقشا
د. لزرق جازية	المركز الجامعي تيسمسيلت	مشرفا و مقررا

الموسم الجامعي

2017/2016

تقدير و عرفان

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة وأعاننا على أداء هذا الواجب ووفقنا إلى إنجاز هذا العمل

تتسابق الكلمات وتتزاحم العبارات لتنظم عقد الشكر الذي لا يستحقه إلّا أنتِ

، إليكِ يا من بذلت ولم تنتظري العطاء .

أستاذتنا الغالية نرسل إليك وسام الشرف والتقدم تقديراً لمجهوداتك الرائعة .

كما لا يسعنا إلا أن نخص بأسمى عبارات الشكر والتقدير أساتذتنا الكرام لما قدموه لنا من جهد ونصح

و معرفة طيلة سنوات الدراسة .

إلى الذين كانوا عونا لنا في بحثنا هذا فلهم منا كل الشكر .

عاصي رشيدة

درباح رقية

مقدمة:

انشغل عدد كبير من الباحثين بالتراث اللغوي العربي ،فمنهم من اهتم بتحقيقه فجمع المخطوطات و قارن بينها وأثبت الصحيح ،وشرح المادة و علق عليها ،ومنهم من عني ببحث النصوص ودراستها وتحليلها، محاولا الكشف عن الجوانب المشرقة فيها، رغم الصعوبات التي تواجه من يتصدى للحديث عن مظاهر هذا التراث .حيث اكتفى البعض بالعرض و الشرح و هناك من تجاوز ذلك إلى النقد و الغوص في أعماقه للكشف عن أوجه التفوق أو القصور وهناك من أراد أن يربط بين هذا التراث ونظريات البحث اللغوي الحديث أمثال الدكتور حسام البهنساوي في كتابه أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث الذي نحن بصدد دراسته لكشف ما يحتويه هذا الكتاب و كيف حاول الدكتور البهنساوي أن يربط بين التراث و علم اللغة الحديث.

وكما هو معلوم فإنه من المستحيل تناول ذلك الكم الفخم من التراث اللغوي لذلك اقتصرنا على دراسة هذا الكتاب لإبراز الجهد الذي بذله اللغويون العرب و الوقوف على مقدرتهم ووعيهم بذلك من حيث المساهمة في معالجتها من زوايا عدة في ضوء الدراسات اللغوية و النظريات الحديثة بهدف التحري و محاولة كشف مناهج اللغويين القدامى في دراستهم اللغوية ، فقد أقبل الإنسان على دراسة الظواهر مقتضيا حقيقتها مما دفع الفكر الإنساني إلى البحث عن افضل الأساليب و الطرائق التي تمكنه من الوصول إلى هدفه بموضوعية ونزاهة.

وعلى هذا الأساس فقد اعتمدنا و انطلقنا من إشكالية مفادها ما مدى تأثير بحوثنا اللغوية العربية القديمة و التي نسميها بالبحوث التراثية في صنع النظريات اللغوية الحديثة؟

و إعادة النظر و أين وقع الترابط بين التراث و النظريات الحديثة في كتاب البهنساوي؟ و على هذا الأساس فقد اقترحنا بعض الفرضيات وهي كالاتي:

ما مدى تأثر العلوم الإنسانية أو عدم تأثرها بالمناهج العلمية و العقلية و الفلسفية فيما وضعه علماء اللغة العرب من نظريات ؟وما أبدعوه من أفكار لسانية رائدة؟هل اخذ الغربيون تلك الجهود و حاولوا صياغتها و إلى أي مدى وقع الترابط بينها؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات فقد قسمنا هذا البحث المتواضع إلى مقدمة و مدخل وفصلين وخاتمة عامة حَوت مختلف نتائج هذا البحث .

وفيما يلي نظرة موجزة حول أهم النقاط المتناولة في المقدمة اشرنا فيها إلى موضوع البحث و الزوايا التي عالجنا من خلالها أهم إشكالات البحث ،والأسباب و الدوافع التي كانت وراء اختيارنا لهذا الكتاب ،و الخطة المعتمدة و نوعية الأسلوب الذي انتهجناه.

أما المدخل فضمناه أهم أساسيات البحث إذ قدمنا فيه قراءة موجزة عن حياة الكاتب، من ناحية أفكاره و مبادئه إلى جانب الدوافع التي جعلته يوجه الدراسة إلى هذا الموضوع.

أما الفصل الأول فقد قمنا من خلاله لمناقشة مجموعة من الإشكاليات العلمية التي حاولنا الإجابة عنها في هذا البحث المتواضع ،و ذلك بدراسة فصول الكتاب بالتسلسل لفهمها بشكل صحيح مدعومة بمجموعة من المؤلفات المماثلة وذلك بالنقد و الشرح والمقارنة.

أما الفصل الثاني فحاولنا من خلال الحكم على الكتاب في الحقل المعرفي الذي ينتمي إليه ،والإضافات النوعية التي جاد بها الكاتب و بناء على ذلك فقد عالجنا هذا الموضوع ،من خلال منهج وصفي تحليلي تارة ،وتفسيري مقارن تارة أخرى.

فالمنهج الوصفي عملنا من خلاله على تقديم الظواهر التي تناولها المؤلف ،مقتصرين على وصفها كما تناولها هو ،كما اقتضت طبيعة البحث توظيف المنهج المقارن الذي حاولنا من خلاله تحديد مواقف و آراء الدكتور "البهنساوي" و مقارنتها ببعض آراء اللغويين و النحاة ،سواء أولائك الدين سبقوه أو الذين عاصروه.

وفي نظرنا فالجمع بين هذه المناهج الثلاثة قد مكننا من تقديم صورة واضحة ،عن الأسس المنهجية و المعرفية التي شخصت فكرة "البهنساوي" هذا من جهة ،ومن جهة أخرى قد ساعدنا على تحديد تصوراه و منهجه اللغوي في مختلف القضايا المطروحة في كتابه أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث مع نقل آراء و أقوال العلماء العرب و الغرب في مسألتي مفهوم اللغة ، والدراسات النحوية.

ولم يكن اختيارنا لهذا الموضوع اعتباطا ،وإنما كان نتيجة لأسباب و دوافع متعددة، اختلفت بين ما هو ذاتي ،و بين ما هو موضوعي ،جعلتنا نوجه الدراسة إلى المادة المعرفية واللغوية عند المؤلف .من خلال مؤلفه "أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث" وفيما يلي أهم الدوافع التي جعلتنا نختار هذا الكتاب:

1-اهتمامنا البالغ بالتراث اللغوي العربي ،وما حققه من إنجازات في تاريخ الثقافة العربية و الإسلامية عامة ،وفي خدمة لغة الضاد خاصة.
2-وإيماننا العميق بقيمة هذا التراث اللغوي العربي القديم الذي حاولنا من خلاله دراسة و تحليل بعض القضايا التي طرحها المؤلف من أجل الوصول إلى اهم أسس بناء التفكير اللغوي و النحوي عند العلماء العرب القدماء. ومدى مطابقتها للجهود الغربية الحديثة في مجال الدرس اللساني.

ومن طبيعة الأمور أن كل بحث لا يخلو من صعوبات وهذه الصعوبات لا تخرج في مجملها عن تلك التي يمكن أن يلقاها أي باحث و تتمثل في ضيق الوقت حيث كان البحث يحتاج وقت أطول لينال حقه من التمحيص والدراسة .وصعوبة في تحليل بعض المواد في الكتب التراثية ودراستها لإجراء مقارنة بينها و بين الأفكار السائدة في الفكر الحديث إضافة إلى تشتت وكثرة الآراء حول هذا الموضوع ،حيث يتعذر الإلمام بها كلها.

وأخيرا لا نزعم بأننا قد بلغنا الكمال في هذه الدراسة، وأننا أتينا بما لم تأتي به الأوائل وإن كان لنا فضل فيعود إلى منهجنا في الدراسة و قد بذلنا جهدا في هذا المضمار من أجل أن ننهي هذا البحث في أوانه كما ننوه بأستاذتنا الفاضلة لزرق جازية التي أمدتنا بيد العون بتوجيهاتها السديدة و أفكارها الصائبة التي أسهمت في إنجاز هذه المذكرة .

وشكرا

الطالبتين

- عاصي رشيدة
- درباح رقية

البطاقة الفنية للكتاب:

أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث.

ـ من تأليف الأستاذ الدكتور حسام البهنساوي ،الطبعة الأولي ، دار النشر: المكتبة الثقافية الدينية، القاهرة ، جامعة الفيوم ،كلية الدراسات العربية و الإسلامية، السنة التي صدر فيها الكتاب هي 1994/12/30م، الكتاب صغير الحجم ينتهي ترقيمه في الصفحة 62،مغلف تغليفا عاديا و حسب المؤلف فإن الهدف منه هو تلبية فضول علمي، النوع ورقي .

المدخل :

قراءة في كتاب الدكتور حسام البهنساوي:

البحث اللغوي وفق المناهج الحديثة من الأمور التي تشمل أفكار المعنيين بالدراسات اللغوية سواء العربية منها أو غيرها و قد شهدت السنوات الأخيرة نهوضا بهذا المنحى المنهجي و ألفت كتبا و دراسات في العربية تناولت قضايا مهمة متعددة الجوانب من الأصول النحوية و اللغوية وتم مقارنتها بما استجد من أفكار وأراء معظمها من الدراسات العربية أطلق عليه "علم اللغة الحديث" و "اللغويات المعاصرة" في أوربا و أمريكا. ومن هذه الكتب التي ألفت كتاب الدكتور حسام البهنساوي ،أو الكتاب الذي نحن بصدد دراسته. الذي يحاول صاحبه من خلاله إلقاء الضوء على مدى التقاء الفكر اللغوي العربي القديم أو اختلافه مع المناهج اللغوية الحديثة ، كتاب " أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي "،للدكتور حسام البهنساوي ،هو دكتور و مفكر لغوي ،ذو شخصية قوية محبة للعلم طموح جدا من مصر الشقيقة لايزال على قيد الحياة أطال الله في عمره، ولازال في خدمة العلم و التعليم، حياته مليئة بالإنجازات و الاهتمامات البحثية سنقف عليها بالتدرج.

ولنبدأ بالتدرج الوظيفي فقد درس الأستاذ الدكتور حسام البهنساوي من عام 1990م إلى عام 1994م وهو أستاذ مساعد من عام1994م إلى عام 2001م، أستاذ محاضر من عام 2001م حتى الآن .

وأما عن تدرجه الأكاديمي فهو كالاتي:

رئيس مجلس قسم اللغة و الدراسات السامية و الشرقية بالكلية اعتبارا من 2001/09/05م إلى 2004/08/31م ،وكيل الكلية لشؤون البيئة و خدمة المجتمع من 2001/11/11م إلى 2004/08/15م ، وكيل الكلية لشؤون الدراسات العليا و البحوث اعتبارا من 2004/08/16م إلى 2012/09/12م،عضو مجلس الدراسات العليا و البحوث جامعة الفيوم و أمين سر اللجنة اعتبارا من 2005/09/01م إلى 2007/09/12م.

ومن ناحية اهتماماته البحثية فهي كالتالي:

1. كتابة المؤلفات العلمية في مجال العلوم اللغوي.
2. عمل بحوث لغوية تطبيقية في مستويات الدرس اللغوي.
3. عمل الندوات العلمية المتخصصة في مجال العلوم اللغوية .
4. إعداد المؤتمرات العلمية لكلية دار العلوم اللغوية.

وأما المؤلفات العلمية التي أنجزها فهي كما يلي:

1. دراسة وصفية تاريخية للهجات الدقهلية على مستوى الأصوات و البنية أطروحة الماجستير، كلية البنات ،جامعة عين شمس سنة 1987م بالقاهرة.
2. التراكيب و الدلالة في لهجات الدقهلية، دراسة وصفية تاريخية ،أطروحة الدكتوراه ،كلية البنات ، جامعة عين شمس سنة 1989م.

و أيضا نجد ما يلي:

1. دراسات في علم الأصوات.
2. الدراسات اللغوية التاريخية المقارنة و الدرس اللغوي الحديثة.
3. قواعد الربط و أنظمته في العربية و نظريات الربط اللغوية الحديثة.
4. علم الدلالة والنظريات الدلالية الحديثة.
5. الدراسات الصوتية عند العلماء العرب و الدرس الصوتي الحديث.
6. التراث اللغوي العربي و علم اللغة الحديث.
7. أنظمة الربط في العربية "دراسة في التراكيب السطحية بين النحاة و النظرية التوليدية التحويلية.
8. التوليد الدلالي.
9. لغة الطفل.
10. أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث.

ومن أهم الدواعي التي جعلت المؤلف يكتب هذا الكتاب ما يلي:

أن لغتنا العربية تشمل على خزائن قيمة في تراثها و هذا ما يحاول الدكتور حسام البهنساوي البحث فيه عند ما قام بربطها بما هو جديد في نظريات علمية جديدة و بيان قيمتها النقدية ، ليظهر أمام العالم أجمع أهمية هذا التراث القديم و هذا ما جعل الدكتور البهنساوي يؤلف كتابه القيم "أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث" من خلال تسليط الضوء على مدى التقاء الفكر اللغوي العربي القديم أو اختلافه مع مناهج البحث اللغوي الحديث. إن مثل هذا العمل الذي قام به البهنساوي يعد مطلبا ملحا و أمرا ينبغي أن تتبناه المؤسسات العلمية و المجاميع اللغوية و الهيئات المعنية بدراسة تراثنا العربي.

كما أن لهذا العمل قيمة كبيرة و ذلك من اجل معرفة إن كان هؤلاء العرب قد اقروا بأهمية ما قدمه العرب من دراسات قيمة خاصة في مجال دراسة اللغة و إثبات غايته من وراء تأليف هذا الكتاب و الهدف الذي كان يطمح إليه اعتمد على مجموعة من المصادر و المراجع القديمة والحديثة مثل الخصائص للعلامة ابن جني ، البحث اللغوي عند العرب للدكتور احمد مختار عمر، دلائل الإعجاز لعبد القادر الجرجاني، محاضرات في علم اللغة العام دي سوسير ترجمة احمد نعيم الكراعين، مظاهر النظرية النحوية لنعوم تشومسكي ترجمة مرتضى جواد باقر، النحو العربي و الدرس الحديث للدكتور عبده الراجحي...الخ[1] وغيرها من المراجع و التي تخدم هذا الموضوع.

هذه بعض المصادر و المراجع التي استقى منها البهنساوي مادته و من المعروف عنه نزاهته في العمل، فالأعمال التي قام بها و الشهادات التي تحصل عليها تشهد له بذلك.

تنتمي هذه الدراسة التي جاء بها الدكتور البهنساوي إلى حقل معرفي يدور حول اللغة العربية، هذا التراث القيم الذي يحاول البهنساوي أن يطور من خلال ربطه بنظريات البحث اللغوي الحديث ، حيث تشكل اللغة العربية وعاء للفكر و تعبيرا عن مقاصد المتكلمين، و قبل هذا وذاك تؤدي وظيفة تواصلية بين متكلمين هي جوهر

[1] حسام البهنساوي،أهمية الربط بين التفكير عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث،ط(01)،مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة-مصر،ص:01.

التلاقح البشري ومن هذا المنظور فأن اللغة العربية لغة طبيعية تعبر عن هوية و ثقافة الإنسان العربي فهي حمالة للقيم الأخلاقية والحضارية و الثقافية التي يعتبرها الإنسان البشري والمسلم.

و اللغة وعاء التجارب الشعبية و العادات والتقاليد و العقائد التي تتوارثها الأجيال واحد بعد الأخر، فصفة الاستمرار لكل هذا لا يتأتى إلا عن طريق اللغة لذا فهي سلاح من أقوى الأسلحة النفسية للسيطرة علي الأفكار و الأشياء[1]

ومما لاحظناه من خلال هذا التصريح الذي أفادنا به الدكتور تمام حسان أن اللغة وعاء الفكر، و مرآة الحضارة ، وهي مرتبطة ارتباطا عضويا بتطور المجتمع وتقدمه ، فلن تجد لغة متطورة في مجتمع متأخر حضاريا وصناعيا ،كما لا يمكن أن نجد لغة متأخرة في مجتمع متقدم صناعيا و فكريا ، ودلالة ذلك قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا ﴾[2] ، إضافة إلى ذلك فقد شرف الله تبارك و تعالى اللغة العربية تشريفا لم تنله لغة أخرى، حين أنزل جل وعلا كتابه العزيز على قلب رسوله و نبيه محمد بن عبد الله عليه الصلاة و السلام، فكان هذا التشريف الإلهي مصدر الحفظ و المناعة و المتانة و القوة للغة العربية الذي رفع قدرها و اكسبها من عناصر القدرة على النمو الذي لا يتوقف، ما جعلها متميزة ،لأنها لغة الوحي الرباني و الرسول الخاتم ، بها تقام الصلاة ركن الدين المتين التي يؤديها المسلمون من شتى الأجناس في جميع أقطار الأرض على مدار الليل و النهار ،فأصبحت لغة إنسانية و لسانا عالميا منذ ظهور الإسلام، أبدعت حضارة راقية أشعلت الأنوار التي بددت ظلمات العصور الوسطى في العالم .

كما تعد اللغة من أهم مميزات الإنسان الاجتماعية كونه من خلالها هو الوحيد الذي يتمكن من ترجمة أفكاره و مشاعره إلى ألفاظ و عبارات مفهومة مع أبناء مجتمعه و على هذا الأساس تعرف اللغة بأنها ظاهرة فكرية عضوية خاصة بالإنسان دون غيره من الكائنات الحية ،فهي إذن صفة مميزة للجنس البشري و اللغة هي الوسيلة الوحيدة لنشأة المعرفة الإنسانية و تكوينها و تطورها و التي ينقل من المرء

[1] تمام حسان، مناهج البحث في اللغة،ط(01)،دار الثقافة البيضاء،(د-ت-ن)،1916
[2] سورة البقرة،الآية (70)

خلالها إلى الآخرين المعاني و الأفكار التي تدور في رأسه التي هي أصوات ملفوظة مرئية يفهمها السامع [1]

ومن خلال هذا التصريح الذي قدمه لنا الدكتور حاتم علو الطائي نستنتج أن اللغة تمثل أداة من أدوات المعرفة و تعتبر من أهم وسائل التفاهم و الاحتكاك بين أفراد المجتمع في جميع ميادين الحياة ،وبدون لغة يتعذر نشاط الناس في جميع ميادين الحياة، وبدون لغة يتعذر النشاط المعرفي .

واللغة في كل مجتمع نظام عام يشترك الأفراد في إتباعه ،و يتخذونه أساسا للتعبير عما يجول بخاطرهم و في التفاهم مع بعضهم البعض و اللغة ليست من الأمور التي يصنعها فرد معين أو أفراد معينون ،وإنما تخلقها طبيعة الاجتماع ،و تنبعث عن الحياة الاجتماعية و ما تقتضيه هذه الحياة من تعبير عن الخواطر و تبادل الأفكار فاللغة تعطي الإنسان قوة العقل للتفاهم و الكلام و اللغة أهم مظهر لوجود الجماعة و المحافظة على كيانها وهي عنصر ضروري لبقاء و تماسك وحدات المجتمع.

وللغة وظائف عديدة و متعددة نتطرق إليها كالاتي:

أ)وظيفة اللغة عند العلماء العرب:

اللغة لها وظيفة اجتماعية لكنها أداة للاتصال بين أفراد المجتمع ووسيلة للتعبير عن أغراضهم ،أن للغة وظيفة اتصالية و تعبيرية أن للغة أهمية في نقل المعرفة و تمحيصها[2]

أن اللغة وسيلة اتصالية إنسانية اجتماعية يتكلمها متكلم اللغة و يعبر بواسطتها عن آرائه و احتياجاته و متطلباته ، إن اللغة وسيلة التفاهم و التفاعل يكسبها الإنسان من المحيط الذي يعيش فيه[3]

ب)وظيفة اللغة عند العلماء الغربيين:

إن اللغة وسيلة لتوصيل العواطف و الأفكار و الرغبات و الأغراض عن طريق الأصوات ،إنها أداة اتصال تحلل وفقها نبرة الإنسان بصورة مختلفة في كل تجمع إنساني، و ينتهي هذا التحليل إلي وحدات صوتية لها محتوي دلالي ،أن اللغة وسيلة

[1] حاتم علو الطائي ،نشأة اللغة و أهميتها،مركز البحوث و الدراسات التربوية،ع(06)،نيسان،2009م،ص.12-13
[2] إبراهيم عبد الله رفيدة،بحوث في اللغة و الفكر،منشورات الدعوة الإسلامية ،ط(01)،2005م ص.05
[3] المرجع نفسه ،ص.01

للتعبير عن الأفكار الذهنية المجردة ، و يتوارثها الخلف عن السلف في مجتمع إنساني معين و تتسم بالازدواجية على المستويين الصوتي و التركيبي [1]

هذا بالنسبة إلي الحقل المعرفي الذي تنتمي إليه هذه الدراسة التي تعرض إليها الدكتور البهنساوي في كتابه "أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث "،وكانت هذه الدراسة تحليلية مقارنة .

[1] المرجع نفسه ،نفس الصفحة.

العرض:

إشكالية البحث:

تنطلق إشكالية هذا البحث في مواجهتها لمجموعة من الأسئلة العلمية الدقيقة، المتعلقة بمفهوم اللغة ،و مفهوم التفكير النحوي ، و مظاهرهما عند اللغويين العرب القدماء ، و عند علماء الغرب و لمعالجة هذه الإشكالية حاولنا في هذا البحث الإجابة عن أسئلة جوهرية نذكر على سبيل المثال منها.

هل هناك علاقة بين الجهود العربية القديمة في تعريفهم للغة و بين مفهومها عند العلماء المحدثين؟ وهل هناك علاقة بين الجهود النحوية العربية و الجهود النحوية الغربية في الدرس اللساني الحديث؟

المنهج المعتمد في معالجتها

اتبعنا في هذا البحث المتواضع منهجا علميا دقيقا قائما على جمع المادة المدروسة من النصوص المطروحة ،ثم تحليلها لاستنباط الأصول التي اعتمدها البهنساوي في تحليل القضايا المطروحة ،سواء المتقدمين أو المحدثين له.

و بناءا على ذلك فقد عالجنا هذا الموضوع من خلال منهج وصفي تحليلي تارة وتفسير مقارن تارة أخرى.

فالمنهج الوصفي عملنا من خلاله على تقديم الظواهر التي تناولها المؤلف مقتصرين على وصفها كما تناولها هو، كما اقتضت طبيعة البحث توظيف المنهج المقارن الذي حولنا من خلاله تحديد مواقف و أراء "البهنساوي" ومقارنتها ببعض أراء اللغويين و النحاة سواء أولئك الذين سبقوه أو الذين عاصروه.

وفي نظرنا فالجمع بين هذه المناهج الثلاثة قد مكننا من تقديم صورة واضحة عن الأسس المنهجية و المعرفية إلي شخصت فكرة البهنساوي هذا من جهة ومن جهة أخرى ،قد ساعدنا على تحديد تصوراته ،ومنهجه اللغوي في مختلف القضايا المطروحة في كتابه ،مع نقل أراء و أقوال العلماء العرب و الغربيين في مسألتي: مفهوم اللغة و الجهود النحوية عند العرب.

و للإجابة عن هذه الإشكالية قسم الدكتور البهنساوي كتابه إلي مجالين اثنين وتمهيد ، نتبعه معه في قراءة مستعجلة ،على الرغم من قيمة المؤلف التوثيقية

و التحليلية التي تتطلب الوقوف و التأني في الدراسة و التحليل و ما يلاحظ بشكل عام و إن كان الحكم مستعجلا و الكتاب يزخر بمجموعة من المصادر و المراجع التي اعتمادها الكاتب في دراسته هذه ،حيث يذكر الكاتب أن أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث أصبحت من المسائل المهمة التي تطرح نفسها علي أذهان العلماء خاصة بعد ظهور علم اللغة الحديث كعلم مستقل له كيانه المتميز عن بقية العلوم الأخرى ،حيث يقول البهنساوي :"أن هذا الربط بين ما بذلوه العلماء العرب من جهد خالص واتفاق علمي و دراسات منهجية فريدة و بخاصة عندما تقدم هذه الدراسات التراثية العربية الأصلية في ضوء معطيات الدراسات اللغوية الحديثة لنقف علي ما تتميز به هذه الدراسات عند العلماء العرب من خصائص و سمات ،وما توصل إليه هؤلاء العلماء من دراسة عالية من الدقة العلمية و المنهجية تضعهم على قدم المساواة في كثير مما توصلوا إليه مع ما توصلت إليه الدراسات اللغوية الحديثة من نتائج و نظريات"[1]

كما يدعو الدكتور البهنساوي إلي العودة إلي مؤلفات القدامى و ملاحظة المجهودات الهائلة التي قام بها الأوائل في مجال دراسة اللغة و العناية الدقيقة التي بذلوها في جمع اللغة و المفاهيم الحديثة المتطورة التي أتوا بها و هذا ما يؤدي إلي مقارنتها ببعض المفاهيم الألسنة .

ويري الدكتور البهنساوي أن العودة إلي التراث اللساني العربي بكل رافده تعد من الأمور الهامة ،التي من شأنها أن تبين نقطة التلاقي مع احدث ما توصل إليه البحث اللغوي الحديث و التي ستظهر بلا شك مدي استمرارية هدا التراث[2] أو الفكر اللغوي عبر الزمان ،و لعل كتاب "الألسنة الديكارتية" مثال حي على اهتمام العلماء اللغويين المحدثين بضرورة العودة إلى التراث اللغوي من اجل الربط بين بعض القضايا المهملة و بين المفاهيم اللغوية الحديثة ، حيث استطاع تشومسكي (N.Chomsky) في هذا الكتاب أن يقف علي العديد من النقاط التي تبين مدي الاتفاق و الالتقاء بين أفكاره التي تضمنتها نظريته التوليدية التحويلية ،وبين القواعد و الأسس التي أرساها "ديكارت"(" R.Descartes")و التي عرفت باسم قواعد "بورت رويال"[3]

ومن أهم العلماء الذين ربطوا الفكر اللغوي القديم ،و نظريات البحث اللغوي الحديث نذكر كلا من :

[1] ينظر:حسام البهنساوي ،أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث،ص.01
[2] ينظر:المرجع نفسه ،الصفحة نفسها.
[3] المرجع نفسه ،ص:02

لوروا("M.Leroy") وليبتشي ("G.C.Lepschy") و جورج مونان("G.Mounin") و كريستيفا("J.Kristeva") و روبنز("R.M.Robins")...

و إذا كان الربط بين التراث اللغوي القديم و الفكر اللغوي الحديث قد حظي باهتمام علماء اللغة الغربيين ،فان جهود العلماء العرب قليلة إذا ما قورنت بجهود العلماء الغربيين، فالدارسون العرب الأقدمون لهم جهود لا تنكر و لا ترد في حقل الدراسة اللغوية جديرة بان يعاد النظر فيها من خلال ربطها بمناهج البحث اللغوي الحديث[1].فقد قدموا ملاحظات متعددة و قيمة حول قضايا اللغة. و أراءهم هذه يمكن اعتبارها متطورة بالنسبة إلى زمانهم بدءا مع جمع أصول اللغة و لم شتاتها و استنباط أحكامها العامة ،و غيرها من المفاهيم المتطورة التي أتوا بها خصوصا في مجال اللسانيات[2].

فالبهنساوي يرى أن اهتمام علمائنا من الباحثين و الدارسين العرب قليل جدا إذا ما قورن بالعلماء الغربيين الذين أولوا تراثنا العربي اهتماما و اعتبارا. حيث استطاعوا الإجابة عن الكثير من القضايا و المشاكل اللغوية في لغتنا العربية، وساعدهم في ذلك إحاطتهم الواسعة باللغات السامية الأخرى[3].

ومن ثم فقد جاءت دراساتهم في الربط بين التراث اللغوي العربي القديم و نظريات البحث اللغوي الحديث دقيقة. وإن كان بعض علماء اللغة المعاصرين يرون عكس ذلك و أن الربط التاريخي بين مناهج الدرس اللغوي الحديث و الفكر اللغوي القديم ،حال دون تحقيقه مجموعة من العوامل :كجهل العلماء الغربيين باللغة العربية و لتراثها مما أدى إلى عدم الاهتمام بالنتاج اللغوي ،و عدم الاطلاع عليه، و أنهم قد أهملوا فترة القرون الوسطى و التي تعد ازدهارا للفكر اللغوي العربي[4] ،وأن علماء الغرب لم يولوه حقه من الاهتمام و هذا أمر واضح، غير أن هذا لا يدفعنا إلى القول بعدم اهتمام هؤلاء العلماء الغربيين بتراثنا اللغوي العربي، خصوصا في اعترافهم بتفوق الدراسات الصوتية عند العرب ،و كذلك جهود العرب في مجال الدراسات المعجمية و أنهم السباقون في ذلك لدليل أكيد على فعالية هذا التراث اللغوي العربي [5]

[1] ينظر:حسام البهنساوي ،أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث،ص.03.
[2] المرجع نفسه ،ص.02.
[3] .المرجع نفسه ،ص.03.
[4] المرجع نفسه،ص=04
[5] المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

كما أن النحاة اليهود جعلوا النموذج اللغوي للغة العربية أساسا لوضع قواعدهم للعبرية، ووضعوا النماذج العربية في التأليف المعجمي أساسا و نموذج يحتذي به في وضع المعاجم العبرية، أمثال "سعدي الفيومي" ،و "يهودا بن جبوح"

و يرى البهنساوي انه في إطار الربط بين التراث اللغوي و مناهج البحث اللغوي الحديث ، لا يستبعد من الباحثين العرب من يولي اهتمامه بهذا الربط على الرغم من قلتهم و يذكر منهم الدكتور "تمام حسان"، الدكتور "عبد السلام شرف الدين"، و الدكتور "ميشال زكريا" ، و الدكتور "عبده الراجحي" و"نهاد الموسى" ، و "محمد علي الخولي" ، الذين كانت لهم إسهامات في هذا الموضوع[1]

والتي عدت إسهامات جليلة سلطت الضوء على مدى التقاء الفكر اللغوي العربي القديم أو اختلافه مع مناهج البحث اللغوي الحديث[2]

فالجهود المذكورة قد توصل أصحابها إلى نتائج جد مهمة ، أثبتت أن الفكر اللغوي العربي ،له فضل الأسبق ،في كثير من القضايا و المباحث اللغوية ،التي توصلت إليها مناهج البحث اللغوي الحديث بداية من دي سوسير و وصولا إلى تشومسكي ، فالدكتور البهنساوي يرى أن هذا البحث يهتم بالربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث و خصوصا في مجالي مفهوم اللغة و الجهود النحوية عند العلماء العرب[3]

هذه هي إذن أهم الخطوات الكبرى التي جاء عليها كتاب الدكتور "حسام البهنساوي " و التصميم العام لأجزائه و أقسامه و هو تصميم يتسم بالنسقية و الوضوح، ويعكس دون شك ما بلغه المؤلف من صفاء و وضوح في التعاطي مع موضوعه ،هذا من ناحية ،ومن ناحية أخرى فالكتاب يضم مبحثين :

[1] ينظر:حسام البهنساوي ،أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث ،ص.03.
[2] المرجع نفسه،ص.06.
[3] المرجع نفسه،ص.07.

الفصل الأول (01-19):

1-مفهوم اللغة عند العلماء العرب:

خص برصد أهم التعريفات إلى أعطيت للغة عند العلماء العرب ، و أنهم اهتموا بتعريف اللغة و توضيح ماهيتها ، فقاموا بوضع تعريفات جديرة بالمناقشة أثبتت مدى فعاليتها و عمقها، ويستدل على ذلك :

1-1بتعريف العلامة (ابن جني) للغة:

حيث يقول :"أما ، حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم وهذا حدها ،و أما اختلافها فما سنذكره في باب القول عليها أمواضعة هي أم إلهام"[1]

و نستنتج من تعريف العلامة ابن جني للغة أن اللغة أصوات منطوقة تعبر عن أغراض ما و تعيش بين قوم يتفاهمون بها و أن لكل قوم لغة و لا تقتصر اللغة على الأصوات فتدخل فيها الإشارات كإشارات الصم و البكم و تعبيرات الوجه .كما أن هذا الطرح الذي قدمه ابن جني لهذا المعنى يعد إنجازا كبيرا لعلم اللغة في التراث العربي و قفزة واثبة نحو التقدم الفكري اللغوي ،حيث انه قدم وصفا لمعنى اللغة من غير انتقاص لجوهره ،وان أهم ما يميز هذا التعريف أن ابن جني جعل مفهوم اللغة أصوات، ولم يجعلها ألفاظا أو حروفا كما تناولها غيره ممن تناولوا تعريف اللغة و هذا لأن الأصوات أعم و أشمل بمعناه الواسع من الألفاظ و الكلمات وهو يرى أن اللغة نظام اجتماعي فمن خلالها يتواصل البشر على اختلاف لغاتهم و ألسنتهم ،فهذا النظام لابد أن يتوفر لأنه يساعد في بقائها وديمومتها كما ذكر أن للغة وظيفة أساسية التي تؤديها وهي التعبير عما يجول في الفكر و ما يحمله الصدر من عواطف و أحاسيس فبواسطة اللغة يستطيع البشر نقل أفكارهم والإفصاح عن انفعالاتهم.

ومن خلال الاطلاع علي بعض الكتب لاحظنا أن هذا التعريف على قدمه هو التعريف المعتمد عند كثير من علماء اللغة لاشتماله على الكثير من الجوانب الأساسية للغة كالطبيعة الصوتية ،و اعتبارها ظاهرة اجتماعية و وظيفة تعبيرية ،ومن بين هؤلاء العلماء ،العالم اللغوي الإنجليزي "ديفيد كريستال"(David Crystal) "حيث عرف اللغة بأنها ضوضاء يستعملها الإنسان بشكل منتظم في مجتمع بغرض التواصل

[1] ينظر:حسام البهنساوي ،أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث ،ص.7

و التعبير عن عواطفه و انفعالاته" وهو تعريف يماثل تعريف ابن جني للغة من حيث الإشارة إلى الطبيعة الصوتية و الاجتماعية و التعبيرية للغة[1]

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فيرى أن اللغة الهام محتجا في ذلك بقوله تعالى ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾[2] ويرى بأن أصل اللغة لابد فيه من المواضعة بدليل أنهم يحتاجون إلى الإبانة عن الأشياء بالمعلومات فيضعوا لها مسميات ،كما استعرض قول بعضهم :"أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعة كدوى الرياح ، و حنين الرعد ، و خرير الماء...[3]

ويشاطره في هذا الرأي على أن اللغة الهام الفيلسوف اليوناني "هيرقليطيس" أن اللغة الهام هابط من السماء أيضا و علم الأسماء يؤدي إلى علم الأشياء لأننا حين نعرف حقيقة الاسم نعرف بالضرورة حقيقة المسمى [4].بحيث أن الله الخالق أوحى إلى الإنسان الأول وأوقعه على أسماء الأشياء بعد أن علمه النطق .

و هناك فريق أخر يقول أن اللغة ترجع إلى المواضعة و الاصطلاح حيث أن اللغة ابتدعت و استحدثت بالتواضع و الاتفاق ،وارتجلت ألفاظها ارتجالا ،ومالا الكثير من العلماء و المفكرين لهذه النظرية منهم الفيلسوف "أرسطو" و المعتزلة ،و قال بها المحدثين أيضا مثل الإنجليزي "آدم سميث"[5]

المقصود بافتراض أن المواضعة تقدمت بين ادم و الملائكة﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (31)قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ(32)قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ ۖ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ(33) ﴾ [6]

ويشاطره الرأي ابن فارس في كتابه "فقه اللغة" : أن لغة العرب توقيف ،و دليل ذلك قوله تعالى ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾[7] أي الاسماء التي يتعارفها الناس من دابة و ارض وجبل و سهل و اشباه ذلك ،و يوضح بن فارس معنى ان اللغة توقيف بقوله

[1] صفوت علي صالح، محاضرات في علم اللغة العام، (د-ط)، (د-ت-ن)، ص.09
[2] سورة البقرة، الآية=31
[3] ينظر:حسام البهنساوي ،أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث،ص.07-08
[4] محمد عبد الشافي القوصي،عبقرية اللغة العربية، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية و العلوم والثقافة،(د.ط)،الرباط،المغرب،2016م،ص.161
[5] مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب،ط(05)،دار الكتاب،بيروت،لبنان،1994،ص.57-58
[6] سورة البقرة، الآية.31-33
[7] سورة البقرة، الآية.31

و ليس معنى ذلك ان اللغة كلها جاءت جملة واحدة ، وانما المعنى ان الله علم آدم ما شاء ثم علم بني ادم بعده ماشاء ايضا حتى انتهى الامر الى نبينا محمد صلى الله عليه و سلم فأتاه الله ما لم يؤتى احدا من قبله[1].

غير أن هناك من يرى أن ليس لهذه النظرية أي سند عقلي او نقلي او تاريي بل إن ما تقرره يتعارض مع النواميس العامة التي تسير عليها النظم الاجتماعية ، وعهدنا بهذه النظم انها لاتخلق خلقا بل تكون بالتدرج من تلقاء نفسها اضافة الى ذلك فالتواضع على التسمية يتوقف في كثير من مظاهره على لغة صوتية يتفاهم بهالمتواضعون،فبأي لغة تواصل هؤلاء [2]

ومن هنا فإنه لا توجد نظرية أو اتجاه معين يمكن أن يفسر نشأة اللغة الإنسانية ، فالله سبحانه و تعالى أهل الإنسان و أعطاه القدرات الخاصة ،فألهمه لكي ينطق و ينشئ اللغة.

1-2تعريف الحاجب للغة:

و يقدم البهنساوي بعد ذلك تعريف الحاجب للغة في قوله "حد اللغة كل لفظ وضع لمعنى "و هناك تعريف يشبه تعريف ابن حاجب هو تعريف اليودلي حيث قال "بأن اللغة هي كل لفظ وضع لمعنى" ،متفقا مع" الأسنوي" و "الكيا الهواسي" في القول بأن اللغة ألفاظ تعبر عن معاني فدعت الحاجة إلى وضع الأسماء المشتركة فجعلوا عبارة واحدة لمسميات عدة ،ليخلص في النهاية إلى أن ابن الحاجب و" الأسنوي" و"الكيا الهواسي" فتعريفهم للغة يركزون على أمور خمسة وهي:

1. اللغة تواضع و اصطلاح.
2. اللغة تدل على معاني معينة.
3. اللغة عبارة عن أصوات يرددها اللسان.
4. أصوات اللغة محدودة و متناهية.

وبعد هذا يذكر البهنساوي على الهامش أن هذا التعريف "لالكيا الهراسي" في جزئه الأول

يتفق مع الرأي الذي ذكره "همبولت" واقره "تشومسكي" من محدودية وسائل اللغة في حين يختلف في جزءه الثاني القائل بأن الكلمات المتناهية:عن رأي "همبولت" السابق

[1] محمد عبد الشافي القوصي،عبقرية اللغة العربية،ص.162
[2] مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب،ص.57-58

الذي ذكره تشومسكي قائلا بان اللغة تستخدم بشكل محدود ، وان قواعد اللغة يجب أن تصف العمليات التي تجعل هذا ممكننا ،و يقول أيضا :من الآن فصاعدا تعتبر اللغة كناية عن مجموعة متناهية أو غير متناهية من الجمل كل جملة منها طولها محدود و مكونة من مجموعة متناهية من العناصر و كل اللغات الطبيعية في شكلها المكتوب و المنطوق تتوافق مع هذا التعريف و ذلك لان كل لغة طبيعية تحتوي على عدد متناهي من الفونيمات علما بان عدد الجمل غير منتاه.

إضافة إلى هذا نلمس بوضوح من خلال هذا النص ،رؤية بنيوية جديرة بالاعتبار عندما يحدثنا" الكيا الهراسي" عن الأصوات إلي تخرج من أقصى الرئة إلى منتهى الفم و انه لا يحدث بإفرادها المقصود ،فركبوا منها الكلام ثنائيا و ثلاثيا ورباعيا و خماسيا وقوله هذا هو الأصل في التركيب و هنا يجري البهنساوي مقارنة أن ما جاء به العلماء العرب شبيه بالذي جاء به علماء الغرب.

1-3مفهوم اللغة عند "ابن خلدون":

وبعد ذلك يتطرق الدكتور البهنساوي إلى مفهوم اللغة عند "ابن خلدون" قائلا :"و اللغة عنده وسيلة للتعبير الإنساني ،وهي عبارة المتكلم عن مقصوده و بالتالي تعد وسيلة للتواصل يمتلكها المتكلم ،و يعبر بها عن أفكاره و تميزه عن غيره من الكائنات ،فابن خلدون يعتبر اللغة ملكة إنسانية ،و أن هذه الملكة تظهر عند كل أمة ،في شكل لغة خاصة بها"[1].

"وعلم أن اللغة في المتعارف عليه هي عبارة المتكلم عن مقصوده ،و تلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام فلابد أن تصير ملكة مقررة في العضو الفاعل و هو اللسان وهو في كل أمة بحسب اصطلاحهم".

نستنتج من خلال تعريف ابن خلدون للغة ،أن اللغة عبارة عن نشاط إنساني و ملكة مكتسبة يستعملها الإنسان في التعبير عن شخصيته و مواقفه المختلفة من أجل تحقيق التواصل باعتماد ه على اللسان و اللغة عنده ملكة يربطها بالقدرات العضوية لدى الإنسان على نحو يجعل البعد اللغو خاصية إنسانية

و نلاحظ أن تعريف ابن خلدون للغة تعريف وظيفي حيث يقول: وهي عبارة المتكلم عن مقصوده فالوظيفة الأساسية للغة هي التواصل و هذا ما ركز عليه الوظيفيون

[1] ينظر:حسام البهنساوي ،أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث،ص.10

بخصوص وظيفة اللغة في مسألتين أساسيتين هما التواصل و تحديد الأهداف التواصلية لبنيات اللغات الطبيعية و كذلك ذكر ابن خلدون مصطلح فعل لساني وهذه الفكرة نفسها التي جاء بها "اوستين" حديثا حينما تحدث عن نظرية الأفعال الكلامية "فالفعل الكلامي فهو الإنجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معينة "[1]

ولاحظنا أن ابن خلدون عرف اللغة من المنظور ذاته الذي عرف فيه "تشومسكي" اللغة من حيث أنها ملكة إنسانية يكتسبها الإنسان خلال ترعرعه في بيئة معينة.

حيث يقول "تشومسكي" أن اللغة الإنسانية تتجلى عبر مظهر استعمالها الإبداعي في القدرة الخاصة على التعبير عن أفكار متجددة و ذلك في إطار لغة مؤسسة هي نتاج ثقافي خاضع لقوانين و مبادئ تختص بها جزئيا خصائص عامة للفكرة.[2]

وهذا يعنى أن اللغة ظاهرة إبداعية تستعمل لتعبير عن أفكار الإنسان وهي نتاج ثقافي خاضع لقوانين و مبادئ يمكن أن تتغير هذه القوانين بحسب المجتمع.

وهناك تعريف أخر مهم يرجع إلي الدكتور محمد محمد يونس علي إذ يقول :"اللغة نظام من العلامات المتواضع عليها اعتباطا التي تتسم بقبولها للتجزئة ، و يتخذها الفرد وسيلة للتعبير عن أغراضه ،و لتحقيق الاتصال بالآخرين ،وذلك بواسطة الكلام و الكتابة"[3]

ونستنتج من هذا التعريف أن الكاتب ذكر أهم خصائص اللغة ووظائفها إضافة إلي انه يشير بدقة إلي حقيقتها و طبيعتها إذ قال أنها تتسم بقبولها للتجزئة كما انه ذكر أهم وظيفة للغة هي وظيفة التواصل التي يحتاجها الإنسان لتواصل مع الناس و كذلك وظيفة التعبير عن أغراضه وهي وظيفة مهمة معتمدا في ذلك على الكلام و الكتابة لتحقيق ذلك التواصل.

[1] مسعود صحراوي،التداولية عند العلماء العرب،ط(01)، دار الطليعة،بيروت،لبنان،2005م،ص.10.
[2] ميشال زكريا،قضايا ألسنية تطبيقية،دار العلم للملايين،بيروت،لبنان،ط(01)،يناير 1993م،ص.59.
[3] محمد محمد يونس علي،مدخل إلي اللسانيات،ط(01)،دار الكتاب الجديد المتحدة،بيروت،لبنان،2004م،ص.25.

2-مفهوم اللغة عند العلماء الغربيين:

وبعد استعراض مفهوم اللغة عند العلماء العرب يستدعي الآن تقديم تعريفات مختلفة لمفهوم اللغة عند العلماء الغربيين وأهم المسائل التي اتفق فيها العلماء العرب مع علماء الغرب في تعريفهم للغة ومن بين التعريفات التي استهل بها الدكتور البهنساوي نجد

2-1تعريف "اندري مارتيني"(A.Martinet):

تعريف "اندري مارتيني"(A.Martinet) حيث يقول :"إن اللغة أداة تواصل تحلل وفقها خبرة الإنسان بصورة مختلفة في مجتمع إنساني عبر وحدات ،تشمل على محتوى دلالي ،وعلى عبارة صوتية "[1].وفق هذا التعريف يرى الكاتب أن اللغة في نظر" اندريه مارتيني" (A.Martinet) تعد وسيلة للتواصل و تقوم اللغة على أساس الوحدات الصوتية (الفونيمات) التي تشتمل بدورها على دلالات معينة ، تختلف من مجتمع إلي أخر.

وما لاحظناه نحن من تعريف "مارتيني" للغة أنه يركز على الوظيفة التواصلية للغة كما أن تعريفه يشبه نوعا ما تعريف الدكتور محمد محمد يونس علي للغة و كذلك تعريف ابن جني.

2-2تعريف أنطوان مييه (A.Meillet) :

و بعد ذلك يقدم البهنساوي تعريف أنطوان مييه (A.Meillet) في قوله :"إن اللغة تنظيم متماسك مرتبط بوسائل التعبير المشتركة بين مجموعة متكلمين"[2] ومن هذا التعريف لاحظنا أن "انطوان مييه": يركز على وظيفة من وظائف اللغة التي هي صفة التنظيم لكن عندما تركز على تعريفه تجد أن الكاتب يدعو إلى الحوار البناء المعتمد على اللغة المتعلمة المتماسكة التي تحقق التواصل بين المتكلمين.

2-3تعريف إدوارد سابير (E.Sapir) :

أما إدوارد سابير (E.Sapir) فيعرفها بقوله "أن اللغة وسيلة لا غريزة خاصة بالإنسان ،يستعملها لإيصال الأفكار و المشاعر و الرغبات عبر رموز يؤديها بصورة

[1] حسام البهنساوي ،أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث،ص.13
[2] المرجع نفسه،ص.14

اختيارية و قصدية "إدوارد هنا يرفض أن اللغة غريزة خاصة بالإنسان بل هي وسيلة مكتسبة يستعملها الإنسان في التعبير عن أفكار و مشاعر باعتماد على رموز ئدها بصورة اختيارية و قصدية قصد تحقيق التواصل.

2-4تعريف "ترايجر" (B.Trager) و" بلوخ" :

ويعرفها "ترايجر" (B.Trager) و" بلوخ" بقولهما "أن اللغة تنظيم رموز صوتية كيفية يتعاون بواسطتها أفراد مجتمع معين "[1] هنا "ترايجر" و" بلوخ " يركزان على الوظيفة الصوتية للغة تحقق التعاون بين أفراد المجتمع.

وبعد هذا التعريف يذكر البهنساوي مسألتين هامتين في إطار الاتجاه البنيوي لدراسة اللغة وهي :

أ) اللغة تنظيم أي أن اللغة تتكون من كل منظم من العناصر التي تعمل كمجموعة و لا يكون لعناصر التنظيم إذ أخذت على حدا أية دلالة بحد ذاتها بل تقوم دلالتها فقط عندما ترتبط ببعضها و بالتنظيم ككل.

ب) الرموز طبيعتها كيفية، أي أنها غير معللة ،فالرمز يرتكز على اصطلاح جماعي كلي يشير إلي ما يرمز إليه ،فهو لا يخضع بالتالي لأي قياس عقلي.

وعليه فإن اللغة تعد نشاط إنساني مكتسب و هي وسيلة للتواصل الإنساني كما أنها نظام من الرموز ،وهي عبارة عن مجموعة من الأصوات.

2-5تعريف "دي سوسير" للغة :

وبعد ذلك يشير البهنساوي إلى تعريف "دي سوسير" للغة :"بأن اللغة عبارة عن تنظيم محدد جيدا في كتلة من العناصر المتغايرة لحقائق الكلام...فاللغة عنده عبارة عن نظام من العلاقات التي توحد المعاني و الصور الصوتية فيها الشيء الأساسي و الوحيد"[2] دي سوسير هو رائد علم اللغة الحديث الذي أسس لدراسة اللغة دراسة علمية بالوصف و التحليل و التوصيف و التقعيد و الملاحظ من هذا التعريف ا ن دي سوسير في تعريفه للغة يدعو إلي التفريق بين اللسان و اللغة و الكلام. فاللسان هو قدرة الإنسان على إنتاج اللغة وهي قدرة تميزه عن الحيوان ،أما اللغة فهي مجموعة القواعد الصوتية و الصرفية و النحوية المتعارف عليها و التي تحكم ممارسة الفرد

[1] حسام البهنساوي ،أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث،ص.14

[2] المرجع نفسه،ص.15

للغة وهي بهذه القدرة التي يمكن حصرها و تحديدها ومن ثم إخضاعها للدراسة العلمية أما الكلام فهو ممارسة الفرد لهذه القواعد.

ويذكر البهنساوي انه قد حذا على نهج دي سوسير في تعريف كل من هال و بلومفليد (Hall,Bloomfield) إلا أن "هال" يضيف إلى تعريفه مسألة أن اللغة عادة من حيث أنها عادة إنسانية تبناها علماء اللغة البنيويون و خصوصا الأمريكيون بتأثير من النظرة السلوكية في علم النفس . أما اللغوي الأمريكي بلومفيلد (Bloomfield) الذي يقول بان "الكلام (الأصوات) الخاص : الذي يتلفظ به الإنسان من خلال سيطرة مثير معين يختلف باختلاف المجموعات البشرية فالبشر يتكلمون لغات متعددة... كل طفل يترعرع في مجموعة معينة يكتسب هذه العادات الكلامية و الاستجابات سن حياته الأولى"[1]، هذا يعني أن الطفل يكتسب اللغة حسب البيئة التي يترعرع فيها.

و نظيف إلى هذا التعريف الذي قدمه "بومفيلد" تعريف أخر يختلف عنه نوعا ما هو تعريف "هنري سويت" (Henry.Sweet) عالم الأصوات الإنجليزي فيعرف اللغة بأنها:" تعبير عن أفكار جزئية بواسطة أصوات كلامية مؤلفة في كلمات وفي جمل و هذا التأليف منطبق على الأفكار الجزئية المندرجة في أفكار شاملة"[2] ففي هذا التعريف إشارة إلى إحدى خصائص اللغة و هي قابليتها للتجزئة و هذا التعريف يشبه تعريف الدكتور محمد محمد يونس علي إضافة إلى انه يركز على وظيفة واحدة من وظائف اللغة و هي التعبير عن الأفكار.

2-5تعريف "نعوم تشومسكي"(N.Chomsky) :

أما "نعوم تشومسكي"(N.Chomsky) فأنه يرفض تلك النظرة الآلية إلي اللغة ، من حيث كونها عادة كلامية قائمة من خلال المثيرات و الاستجابات و يؤكد "تشومسكي" في هذا الصدد أن الطفل يكسب لغة البيئة التي يترعرع فيها بالاستناد إلى مقدرته الفطرية على الإبداعية حيث يشير مصطلح الكفاءة اللغوية إلى مقدرة المتكلم-المستمع المثالي على أن يجمع بين الأصوات اللغوية و بين المعاني في تناسق وثيق مع قواعد لغته.

ويجدد تشومسكي مفهوم اللغة في ضوء ما أسلف من توضيح وتبيان بقوله "من الآن فصاعدا تعتبر اللغة كناية عن مجموعة متناهية أو غير متناهية من الجمل كل

[1] حسام البهنساوي ،أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث ،ص.16

[2] صفوت علي صالح، محاضرات في علم اللغة العام،ص.09

جملة منها طولها محدودة ،و مكونة من مجموعة متناهية من العناصر، و كل اللغات الطبيعية في شكلها المكتوب و المنطوق تتوافق مع هذا التعريف، ذلك لان كل لغة طبيعية تحتوي على عدد متناهي من الفونيمات و كل جملة بالإمكان تصورها كتتابع من الفونيمات علما بأن عدد الجمل غير متناه "[1]

و يقودنا هذا التعريف الذي أفادانا به تشومكسي أن الإنسان لا يكسب لغيته من خلال البيئة الاجتماعية التي ترعرع فيها فاللغة ليست عادات كلامية فهي لغة راقية تختلف عن لغة الإنسان و تتسم بخصائص مميزة و في هذا المجال يركز تشومسكي على الميزة الإبداعية في اللغة الإنسانية إذ يرى أن اللغة الإنسانية تقوم على تنظيم منفتح و غير مغلق تساعد على إنتاج و فهم عدد غير منتاه من الجمل لم يسبق له سماعها من قبل فتساعده على التواصل مع الآخرين و هذا تعريف يذكرنا بتعريف عبد القاهر الجرجاني فهو أيضا يربط اللغة بالعقل إذ غالبا م يربط في تعريفه لها بالإدراك حيث يعتبر الملكة اللغوية خاصية راسخة في الجنس الإنساني و مكونا من مكونات العقل الإنساني و خاصية تحول الخبرة إلى قواعد.

"فاللغة عنده عملية عقلية نفسية توجهها مقاصد المتكلم و أغراضه و أفكاره التي تتمثل في ترتيب المعاني في النفس أولا ،ثم يتبعها الكلام على نحو خاص ، يقول(...ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النطق – بل أن تناسقت دلالتها و تلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل...) "[2]

وهناك أيضا تعريف أخر يربط اللغة بالفعل نجده أيضا عند العالم الألماني "هبو لت" حين قال: "أن اللغة هي عمل العقل و هي صوت المنطوق الذي نستطيع به أن نعبر عن الفكر "[3] ونهم من هذا التعريف العلاقة الوطيدة بن اللغة و الفكر فاللغة هي التي تساعدنا على التعبير على ما في أذهاننا و خواطرنا فاللغة هي مرآة العقل.

وأشار تشومسكي إلى مصطلح الكفاءة اللغوية وما لاحظناه أن هذه الكفاءة التي يتحدث عنها تشومسكي ليست سلوكا أنها مجموعة من القواعد التي تسير وتوجه السلوكات اللغوية دون أن تكون قابلة للملاحظة و لا يمكن للفرد الوعي بها أي أن المتكلم يوظف قواعد لغته بطرية لاشعورية بحيث تمكنه هذه القواعد من التعبير عما يريد بجمل نحوية جديدة لم يسمعها قط من قبل و لعل تشومسكي ينبهنا هنا إلى ذلك

[1] حسام البهنساوي ،أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث ،ص.17

[2] إبتسام احمد حمدان ،أسس نحوية ولغوية في التفكير البلاغي عند عبد القادر الجرجاني ، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، فصيلة محكمة ،ع(04) ، سنة 2010،ص40

[3] المرجع نفسه ،ص 39

الجانب الإبداعي الجميل في لغة الإنسان الرائعة فيمنحها هذا الإبداع المرونة و السهولة في مختلف الاستعمالات التواصلية و كذلك هذا التعريف للغة عند تشومسكي يذكرنا بالتعريف الذي قدمه العالم اللغوي العربي "الكيا الهراسي".

وبعد تعريف تشومسكي للغة يذكر الدكتور البهنساوي على الهامش أن تعريف تشومسكي للغة يتضمن مجموعة من الحقائق هي :

أ) الإنسان مزود بقدرة لغوية فطرية عامة تمكنه من استخدام اللغة.
ب) جمل اللغة و ليس مفرداتها هي محور نشاط الاتصال الإنساني اداءا و فهما .
ج) اللغة وسيلة لفهم طبيعة العقل البشري.

ثم يضيف الدكتور البهنساوي انه في ضوء هذه الحقائق نتعرف على مجموعة أسس تتصل بماهية اللغة ووظيفتها وهي :

1. اللغة أصوات إنسانية إرادية.
2. وظيفة اللغة الاجتماعية في الاتصال و التعبير .
3. اللغة نظام رمزي.
4. اللغة نظام صوتي صرفي نحوي و دلالي.
5. اللغة قدرة فطرية عامة في بني البشر.

وفي ختام هذه التعريفات لاحظنا الدكتور البهنساوي يذكر على الهامش بعض الحقائق التي أضافتها هذه التعريفات للغة وهي :

أ) اللغة نشاط إنساني مكتسب و ليس غريزيا
ب) اللغة وسيلة الاتصال الإنساني
ج) اللغة نظام
د) اللغة رموز
ه) اللغة إصلاح
و) اللغة أصوات إنسانية [1]

[1] حسام البهنساوي ،أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث ،ص.14

والملاحظ في الهامش انه اعتمد على مصادر و مراجع حديثة و قديمة ذات قيمة أتخذها الدكتور البهنساوي من اجل المقارنة.

بعدها يذكر البهنساوي في تعريفه للغة عند العلماء العرب مسائل تماثل نظائرها عند العلماء الغربيين المحدثين و تكاد تقاربها من حيث الكمية و هذه المسائل هي:

1. اللغة عبارة عن أصوات
2. اللغة تألف من كلمات
3. اللغة وسيلة التعبير عن أغراض القوم
4. اللغة تتنوع وتختلف باختلاف أصحابها
5. اللغة مواضعة و اصطلاح
6. اللغة وضعت للدلالة على المعاني
7. اللغة فعل لساني
8. اللغة ملكة لسانية
9. اللغة ميزة إنسانية مكتسبة[1]

بعدها يذكر البهنساوي ثلاث مسائل لم يذكرها علماء الغرب و هذه المسائل هي :

1. اللغة تتكون من كلمات
2. الاصطلاح قائم بشكل أو بأخر ضمن اللغة
3. اللغة فعل لساني

أما المسائل الخمسة التي لم يذكرها العلماء العرب وذكرها العلماء الغرب فهي:

1. الوحدات الصوتية متغايرة فيما بينها
2. جمل اللغة غير محدودة
3. اللغة تنظيم من الإشارات أو الرموز
4. اللغة تنظيم من القواعد
5. اللغة عادة كلامية يكيفها المثير.[2]

تؤكد هذه المقارنة في تعريف اللغة فيما بين العلماء العرب القدامى و العلماء اللغويين الغربيين المحدثين ،مدى إحاطة العلماء العرب القدامى بمفهوم اللغة وإدراكهم للعديد من المسائل الهامة التي تختص بها اللغة إضافة إلي أن الفروق يسيرة للغاية فينا

[1] حسام البهنساوي ،أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث ،ص.18
[2] المرجع السابق، ص.19

بينهم و بين العلماء الغربيين على الرغم من البعد الزمني الكبير و قلة وسائل البحث و اعتماد العلماء العرب على إمكانيات ذاتية خاصة تتمثل في عمق إدراكهم وثاقب نظرهم ،تلك الإمكانيات و القدرات ينبغي أن تبعث فينا الحافز و الهمة من أجل إبراز هذه الجهود العظيمة لتحظى بالمكانة اللائقة التي تستحقها.

وهذا إن دل إنما يدل على قيمة التراث اللغوي العربي وان العلماء الغربيين قد استفادوا كثيرا من هذا التراث في بناء نظريتهم.

الفصل الثاني:

1- الجهود النحوية عند العلماء العرب(20-60) :

استهل المؤلف المبحث الثاني بمقدمة بين فيها اهتمام العرب الواسع باللغة ، و خاصة في مجالي الدراسات النحوية ،و أن جهودهم لا يستهان بها ،و لا يمكن إنكارها و كل ذلك كان حفاظا على لغة القرآن من اللحن و الاندثار و علم النحو هو اقرب العلوم اللغوية لتحقيق هذه الغاية .و يضيف المؤلف أن كتاب "سيبويه" يعد اقدم كتاب وصل إلينا في النحو العربي ،ضمنه دراسات قيمة في النحو.[1]

ويرى الدكتور "عبده الراجحي" أن الحديث عن نشأة النحو العربي لا يكاد يخلو من الحديث عن الأسباب التي كانت وراء هذه النشأة ، وتكاد كلها تركز في قضية اللحن الذي رآه القدماء خطرا على العربية و على القرآن الكريم.[2]

وفي نفس السياق يضيف الراجحي" أن اللحن وحده لا يفسر نشأة النحو و خاصة على أول صورة وصل بها إلينا وأعني بها كتاب "سيبويه" ،و الأقرب عندي أن النحو شأن العلوم الإسلامية الأخرى نشأ لفهم القرآن".[3]

و عليه يمكن القول أن الدراسات النحوية ظهرت في رحاب الدراسات القرآنية حفاظا عليه من اللحن.

ثم يضيف البهنساوي أن سيبويه استعمل في ثنايا كتابه أبوابا تتفق في تناولها مع أسس البنيوية و قواعدها ،و هناك أبواب أخرى تتفق في تناولها مع أسس التوليدية التحويلية و قواعدها و أبواب أخرى تتفق مع المنهج التقليدي و قواعده[4] .

---

[1] حسام البهنساوي ،أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث ،ص.31

[2] عبده الراجحي، النحو العربي و الدرس الحديث(بحث في منهج)،مكتبة دار النهضة العربية للطباعة والنشر،بيروت،1997م،ص.10

[3] ينظر: المرجع نفسه ،ص.11

[4] ينظر : حسام البهنساوي ،أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث ،ص.31

ليقدم بعد ذلك ربطا بين الدراسات النحوية عند العرب و نظريات البحث اللغوي. متطرقا أولا لآراء:

1-1المنهج التقليدي :

و قد حاول المؤلف من خلال هذا المبحث أن يبين أن أنصار هذا الاتجاه من اللغويين و النحاة ،اعتمدوا على مفاهيم لا يحيدون عنها ،معتمدين في ذلك على الأمثلة و الشواهد القديمة مع التمسك بضرورة القياس على معيار صحتها ،باعتبار أن الأقدم دائما هو الأصح و الأصوب [1]

ويقول الدكتور "تمام حسان" في ذلك" قلنا أن موقف المتكلم من اللغة غير موقف الباحث منها ،وإن مظاهر موقف المتكلم من الاستعمال اللغوي أن يراعي معايير اجتماعية معينة يطابقها في الاستعمال ،و يقيس في كلامه على هذه المعايير ، ومن ثم يصطبغ نشاطه اللغوي بصيغة ظاهرة الصوغ القياسي ،أو ما يسمونه(Analogic creation) و تلك ظاهرة تبدأ عند الفرد في طفولته، و تبقى مادام الفرد يستعمل من الصيغ مالم يرد على لسان من قبل ،فإذا كانت الصيغة التي يستعملها قياسية في اللغة كان على صواب"[2]

ويرى البهنساوي أن التقليدية سادت الدراسات اللغوية النحوية فترة طويلة من الزمان سواء عند العلماء الغربين أم العلماء العرب ،و أن الدراسات اللغوية التقليدية لم تكن ذات اتجاه واحد و إنما في صورة مزيج من الآراء و خليط في الأفكار، ووجهات نظر متباينة ،أدت إلى ظهور مدارس لغوية مختلفة.

فسمة الخلط و الاضطراب التي تميز بها المنهج التقليدي في الدراسات اللغوية النحوية و العربية ،حيث جاءت أعمالهم خليطا من الاتجاهات و الأفكار و المبادئ و ما صاحبها من تناقض أساليب البحث[3].

وقد اختصر المؤلف الأساليب و الاتجاهات التي اتبعها النحاة العرب في ثلاث اتجاهات و هي:

[1] ينظر : حسام البهنساوي ،أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث ،ص.31.
[2] تمام حسان ،اللغة بين المعيارية و الوصفية ،مكتبة عالم الكتب، القاهرة-مصر،ط(04)،2000م،ص.39.
[3] ينظر ، حسام البهنساوي ،أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث ،ص.31-32

1-1-1الاتجاهات الفلسفية و المنطقية:

يذكر البهنساوي أن أثر هذه الاتجاهات يظهر في كثير من مشكلات النحو العربي. ومن أهمها مشكلة العامل و ما تفرع عنها من قضايا فرعية لا حصر لها. فالعامل لابد أن يعمل ،و لابد أن يكون له أثر ظاهر.

و يظهر أثر هذه الاتجاهات في كثير من مشكلات النحو العربي و من أهمها مشكلة العامل و ما تفرع عنها من قضايا فرعية لا حصر لها فالعامل لابد أن يعمل و لابد أن يكون له أثر ظاهر أو مقدر، و كل معمول لابد له من عامل[1]

وفي هذا الصدد يقول "تمام حسان" :"لقد أكثر النحاة الكلام عن العامل باعتباره تفسير للعلاقات النحوية، أو بعبارة أخرى باعتباره مناط التعليق و جعلوا تفسيرا لاختلاف العلامات الإعرابية و بنوا على القول به، فكرتي التقدير و المحل الإعرابي و الفوا الكثير من الكتب في العوامل، سواء ما كان منها لفظيا أو معنويا"[2]

و تناول بعض النحاة "كابن مضاء" هذا الفهم لطبيعة العلاقات السياقية بالنقد و التفنيد و التجريح و لكنه بعد أن أبان فسادها بالحجج المنطقية لم يأتي بتفسير مقبول لاختلاف العلامات الإعرابية باختلاف المعاني النحوية، و لم يقم مقام العامل فهما آخر لهذه العلاقات غير قوله :"أن العمل هو المتكلم فجعل بذلك أمرا فرديا متوقفا على اختيار المتكلم و نص عليها الطابع العرفي الاجتماعي الذي احص خصائصها"[3]

وعليه فالعامل في النحو هو العمود الفقري الذي دارت حوله الكثير من الأبحاث و الدراسات الرئيسية و الفرعية ،إن كانت أهميته تعود إلى ارتباطه بصلب النحو العربي.

ويعتبر الدكتور "تمام حيان" أن التعليل هو السبب الرئيسي في ظهور نظرية العامل التي ظهرت مع "ابن مضاء القرطبي".[4]

و في السياق ذاته أورد "محمد عيد" قول "ابن مضاء ":"أما السبب المباشر في اختلاف حول العامل فيعود إلى أن فكرة العامل بطبيعتها دخيلة على دراسة اللغة ، ووجد فيها النحاة مجالا خصبا للتفريع و التعمق و إعمال الذهن"[5]

وخلاصة القول أن هذه الفكرة ذات أهمية أساسية في موضوعات النحو ،لكنها ليست أقوى الأفكار التي سيطرت على تفكير النحاة.

---

[1] ينظر ، حسام البهنساوي ،أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث ،ص.39.

[2] تمام حسان،اللغة العربية معناها و مبناها،عالم الكتب،القاهرة- مصر،ص.185

[3] ينظر،المرجع نفسه،نفس الصفحة

[4] ينظر،تمام حسان،اللغة بين المعيارية و الوصفية،ص.55

[5] محمدعيد،أصول النحو العربي في نظر النحاة و رأي ابن مضاء علم اللغة الحديث،عالم الكتب،القاهرةمصر،ط(04)،1979م،ص.233

1-1-2الاتجاه الثاني التأويل و الافتراض:

أما الاتجاه الثاني عند المؤلف فهو التأويل و الافتراض من حيث أنه دليلا على التناقض في الأحكام، نتيجة لتضارب المناهج أو عدم دقتها، وأن التأويل ما هو إلا محاولة لجعل القواعد تتماشى أو تنطبق مع قواعد المنطق وهذه لا يجوز تطبيقها على قواعد النحو، وهذا ما دفع بالنحاة إلى تفسير علل البناء و الإعراب.[1]

وعليه يمكن القول أن النحاة استخدموا التأويل لتصحيح ما يخالف قياس النحو من نصوص افتراض.

وليوضح الدكتور "محمد عيد" هذا المصطلح خصص له مبحثا بعنوان التأويل و مسلكه في النحو، حيث عرف التأويل في اللغة بقوله: "التدبير و التقدير و التفسير" فالمعنيان الأول و الثاني خصان في رؤية الجانب الخفي للأمر ،فالتدبير و التقدير في حاجة إلى النظر و الفكر، و أما المعنى الثالث فعام، لأن التفسير توضيح و إبانة سواء لما هو ظاهر أو ما هو خفي، و على ذلك يقال "أن التأويل هو صرف الكلام عن ظاهره إلى ما يحتاج إلى تدبر و تقدير" [2]

وليوضح مصطلح التأويل اردف قوله :"و إنما الذي يفهم هنا أن معنى التأويل عامة هو :صرف الكلام عن ظاهره إلى وجوه خفية تحتاج لتقدير و تدبر، وأن النحاة قد أولوا الكلام و صرفه عن ظاهره لكي يوافق قوانين النحو، و أحكامه، فالسبب في وجود التأويل في النحو نظريات أصول النحو، مثل العامل والمعمول و العلة والمعلول والقياس ،وبعد فالتأويل وجد في النحو نتيجة نقاش عقلي عميق، كانت له أسبابه غير المباشرة من تأثير الباحثين في العلوم ،وبخاصة تأويل التفسير أما أسبابه المباشرة حقا فهي الأصول النحوية "[3].

وعليه يمكن القول أن التأويل ارتبط في بدايته بالتفسير ثم طبق على القواعد النحوية بعد ذلك ،خاصة بعد ظهور نظرية العامل.

و مظاهره في النحو أربعة أمور (الحذف-الاستتار-صوغ المصدر-التقدير في الجمل و المفردات)[4] .

أما الدكتور "علي أبو المكارم" فيرى أن هذه الأساليب كانت معروفة قبل الخليل بن احمد الفراهيدي و يؤكد أن ما سلم إليه هذه الحقائق التاريخية من نتائج لخط الخصائص الفكرية لمنهج الخليل الرئيسي لم يكن في ابتكار منهج خاص في التفكير

[1] ينظر ، حسام البهنساوي ،أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث ،ص.24.
[2] ينظر، محمدعيد،أصول النحو العربي في نظر النحاة و رأي ابن مضاء علم اللغة الحديث، ،ص.155.
[3] ينظر،المرجع نفسه،ص.158-161-162
[4] ينظر،المرجع نفسه،ص.163

النحوي، و إنما تحديده الملامح العامة التي تركها أسلافه من النحاة، ذلك انه قد تسلم النحو وهو يتسم بسمات ثلاث:

أولها : الخلط بين المستويات اللغوية، وقياس القواعد إلى ما يسمع من كلام العرب لا إلى ما يطرد و يناقش منه.

ثانيها: استخدام التأويل الصحيح ما يخالف فياس النحو من نصوص.

ثالثها: افتراض واقع لغوي لا يمتد عن واقع اللغة ذاتها ،و إنما يمتد من القواعد المرنة ،المستنبطة من المستويات اللغوية المختلفة.[1]

وهكذا كان التأويل في المراحل السابقة نتاج موقف مغاير للتأويل في هذه المرحلة، فهو في المراحل السابقة ثمرة الاحترام الكامل للنصوص اللغوية مسموعة و مروية ،وهو من اجل ذلك ينصب عليها.[2]

معنى ذلك أن التأويل في بدايته ارتبط بالنص القرآني. أو بتعبير اكثر دقة على ما يخالف القواعد منها، أما في هذه المرحلة فهو نتيجة الاحترام الكامل للأصول النحوية، ومن ثم فإنه يمتد من النصوص المخالفة ليشمل القواعد المتغايرة أيضا.[3]

ما يلاحظ على هذه التعريفات و الآراء أنها كلها تجمع على أن التأويل و الافتراض ارتبط بالأصول النحوية للغة العربية.

1-1-3الإتجاه الثالث المعيارية:

أما الاتجاه الثالث الذي أعتمده النحاة العرب فهو المعيارية ،حيث أسسوا القواعد وفق قواعد معينة من اللغة، لا يحيدون عنها ،ومن هنا جاء اهتمامهم بتخليص اللغة من الشواذ و الشوائب قصد المحافظة عليها من اللحن و التحريف.[4]

يمكن التمثيل للمعيارية بآراء تمام حسان في كتابه اللغة بين المعيارية و الوصفية و الذي تبنى فيه صاحبه وجهة النظر الوصفية لنقد التراث النحوي العربي الذ وسمه بالمعيارية ،إذ اكتف النحويون بدراسة المادة اللغوية القديمة دون أدني محاولة لتجديدها.

حيث يقول:" قلنا إن موقف المتكلم من اللغة غير موقف الباحث منها، وأن من مظاهر موقف المتكلم من الاستعمال اللغوي أن يراعي اجتماعية معينة يطابقها في الاستعمال، و يقيس في كلامه على هذه المعايير، ومن ثم يصطبغ نشاطه اللغوي

[1] ينظر،علي ابو المكارم،تقويم الفكر النحوي،دار عزيب،القاهرةمصر،(د.ط)،1979م،ص.91-92

[2] ينظر،المرجع نفسه ص.154

[3] المرجع نفسه،نفس الصفحة.

[4] ينظر ، حسام البهنساوي ،أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث ،ص.24.

بصيغة ظاهرة الصوغ القياسي أو ما يسمونه (Analogic creation) وتلك ظاهرة بينة عند الفرد في طفولته"[1]

وعليه فالمعيارية عند المؤلف و عند تمام حسان تمثل الاحتكام للقياس و التقليل عوض الاستئناس بالجانب الاجتماعي للغة.

فالمعيارية بخلاف المنهج التقليدي، قائمة على فرض القاعدة أي يبدأ بالكليات و ينتهي إلى الجزئيات ،والمنهج المعياري يعتمد على القاعدة أساسا ،و ينأ عن الوصف ،و يتأول لما خرج عن القواعد التي يسوغها بأحكام شتى التأويلات.[2]

وعرفت المعيارية في الدراسات اللغوية الأوربية و استخدم لها عبارة اللغة المعيارية(Standard Language) أو عبارة المعياري (Prescriptive) حيث توصف اللغة أو النحو أو القواعد عامة[3].

ولقد نشأ النحو العربي نشأة وصفية باعتماد الاستقراء ،و لكن بعد حين من الزمن جنح النحاة به صوب المعيارية بعد أن وضعوا القواعد و الأصول و تواقفوا عن استقراء المادة اللغوية المستجدة، فبرزت اللغة الرسمية ممثلة بهذا النحو و اعتبرت مقاييسه و قواعده فيصلا في الصحة و الخطأ.[4]

وعليه فالمعيارية ظهرت كبديل للمنهج التقليدي مسايرة لتطورات النحو، حفاظا عليه.

و قد أكد المؤلف أن المنهج التقليدي عند النحاة العرب قد تأكدت صحته في كثير من المعالجات التي قاموا بها، قد جاء متوافقا مع ما تنادي به أحدث النظريات اللغوية ، التي ترى بأن القواعد التقليدية قد بينت الصفات المميزة للجملة، سواء في المستوى الدلالي، أو المنطقي ،أو الصوتي[5].

[1] ينظر،تمام حسان،اللغة بين المعيارية و الوصفية،ص.69

[2] ينظر ،علي زوين ،منهج البحث اللغوي بين التراث و علم اللغة الحديث"دراسات"،دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد،ط(01) ،1986م،ص.23

[3] ينظر ،المرجع نفسه ،الصفحة نفسها.

[4] ينظر ،المرجع نفسه ،ص.24

[5] ينظر ، حسام البهنساوي ،أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث ،ص.24.

1-2المنهج الوصفي البنيوي:

وتطرق المؤلف في المبحث الثاني إلى المنهج الوصفي البنيوي الذي نوه من خلاله بجهود السويسري "فاردينانند دي سوسير"،باعتباره رائد هذا المنهج، من خلال المفاهيم التي أرساها و ثبت أركانها ،و أن البنيوية تقوم أساسا علي تحليل عناصر اللغة بالاستعانة بالعناصر الأخرى التي تشتمل عليها تلك اللغة.[1]

وعليه يمكن القول أن ما توصل إليه العلماء العرب القدماء هو نفسه ما توصل إليه دي سوسير.

و يوافقه الرأي "محمد الخولي " حيث يقول :"في بداية القرن العشرين أخذ البحث اللغوي طابعا علميا على يد اللغوي السويسري "فرديناند دي سوسير (Ferdinand de saussure)"(1857-1913)" الذي لقب بأب اللسانيات الحديثة[2].

و كذلك الدكتور كمال بشر الذي نوخ هو الأخر بأعمال سوسير حيث يقول: "شكل "دي سوسير" أهم المدارس اللغوية الحديثة علي وجه الإطلاق ،و أعمقها تأثيرا في مناهج التفكير اللغوي ،مهما تعددت رجاله و مدارسه ،وفي أواخر القرن التاسع عشر و أوائل القرن العشرين، حظي الدرس اللغوي بالقارة الأوروبية بعبقرية نادرة المثال ،ونعني بتلك العبقرية السويسري الشهير " فرديناند دي سوسير(Ferdinand de saussure)"حيث يحتل دي سوسير في نظر اللغويين و المفكرين مكانة خاصة قل أن يشاركه أو يدانيه فيها غيره ، من اللغويين المحدثين انه في نظرهم احد الرواد القلائل الذين وضعوا حجر الأساس لغلم اللغة الحديث ،وهو بالإضافة إلى ذلك يمثل مدرسة فكرية جديدة ،من نوع لم يألفه الناس من قبل ،مدرسة استطاعت أن ترسم خطوطا أساسية من البحث ،كانت بمثابة اللبنات الأولى لكل الاتجاهات الجديدة في الحقل اللغوي المعاصر "[3].

و في السياق ذاته يضيف "جورج مونين" في قوله "لم يكن "دي سوسير "(de saussure) وحيدا ومهما كانت أعماله جليلة و مهما كان تأثيره عميقا ،و مباشرا في بعض النواحي و متأخرا في نواحي أخرى ،فأننا نبسط التاريخ إذا نحن نصبنا له تمثالا رائعا منعزلا عند مفرق طرق خاوية في عام 1916م و لئن كانت أبرز سمات القرن العشرين ،هي العودة إلى علم اللغة العام ،أي إلى النظر في عموميات اللغة[4]"

---

[1] ينظر ، حسام البهنساوي ،أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث ،ص.25.

[2] محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات ،دار الكتاب الجديدة المتحدة ،بيروت-لبنان،2004م،ص.19.

[3] كمال بشر ،التفكير اللغوي بين القديم و الجديد ،دار غرب ،القاهرة-مصر،(ذ.ط)،2005م،ص.86.

[4] جورج مونين ،تاريخ علم اللغة العام منذ نشأتها حتى القرن العشرين،ترجمة :بدر الدين القاسم ،مطبعة جامعة دمشق،(د.ط)،1972م،ص.224.

ويمكن أن نشير هنا إلى أن جل هذه الآراء أجمعت على أن "دي سوسير" هو رائد المنهج الوصفي البنيوي دون منازع.

ومثلما كانت البنيوية هي هدف علم اللغة البنيوي ،كانت أيضا هدف النحاة و علماء اللغة في التراث العربي ،فكتاب "سيبويه" شمل على عناصر بنيوية ،وأن النحاة العرب الأوائل أمثال "الخليل" و "سيبويه" قد ميزوا بين مستويين من مستويات الدراسة النحوية.

أحدهما تمثله القواعد المجردة التي يغلب عليها الطابع التعليمي ،و الأخر و يتمثل في علاقة المبني بالمعنى ،و تمثله العلاقات التركيبية المختلفة بين الكلمات داخل الجملة ،أو بين الجمل و بعضها ،و بهذا فقد أدرك النحاة العرب العلاقة بين المبني و المعنى و المبني بداية من اصغر الوحدات متمثلة في الأصوات و الحروف ووصولا إلى الجملة باعتبارها اكبر الوحدات بناءا[1]

ولما كان الهدف منصبا في الغالب على تعليم الناشئة و غيرهم من المثقفين و المتخصصين رأينهم يتوجهون بالنحو وجهة تعليمية ،والتعليمية أداة المعيارية إذ بواسطتها يمكن المحافظة على المستوى الصوابي لمعيارية اللغة[2].

إن العناية التي نشأ النحو العربي من أجلها و هي ضبط اللغة و إيجاد الأداة التي تعصم اللاحنين من الخطأ ،فرضت على هذا النحو أن يتسم في جملته بسمة النحو التعليمي ،لا النحو العلمي، أو بعبارة أخرى أن يكون في عمومه نحوا معياريا لا نحوا وصفيا[3]

وعليه فتعلم النحو و تعليمه من القضايا الجوهرية في تعليم اللغة ،باعتباره جملة من القواعد لعصمة اللسان و حفظه من اللحن.

ويرى الدكتور تمام حسان " أن الدراسات اللغوية العربية اتسمت بسمة الاتجاه إلى المبني أساسا و لم يكن قصدها إلى المعنى إلا تبعا لذلك ،و على استحياء ،ومن هنا رأينا العلامة عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز يتكلم في النظم و البناء و الترتيب و التعليق ،و كلها أمور تتصل بالتراكيب أكثر مما تتصل بالمعاني المفردة[4]

و يرى المؤلف أن النحاة العرب قد ادركوا العلاقة بين مستويات اللغة،و يأتي في مقدمتهم "الزجاجي"و "السكاكي "[5].

[1] ينظر ، حسام البهنساوي ،أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث ،ص.26.
[2] ينظر ،علي زوين ،منهج البحث اللغوي بين التراث و علم اللغة الحديث"دراسات"،ص.23
[3] ينظر: المرجع نفسه ،ص.24
[4] تمام حسان ،اللغة العربية معناهاو مبناها،ص.12
[5] ينظر ، حسام البهنساوي ،أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث ،ص.28.

أي أن العرب كانوا سابقين لاكتشاف مستويات اللغة.

1-3المنهج التوليدي التحويلي:

الذي يعد رائده "تشومسكي" الذي يرى بأن اللغة كناية عن مجموعة متناهية أو غير متناهية من الجمل ،كل جملة منها طولها محدود و مكونة من مجموعة متناهية من العناصر [1].

و يؤيده في ذلك "محمد محمد يونس علي" الذي يرى أن الفكرة الأساسية التي توجه المنهج التوليدي هي سمة الإنتاجية في اللغة،التي بمقتضاها يستطيع المتكلم أن يؤلف ،و يفهم جملا جديدة غير متناهية ،لم يسبق له أن سمعها من قبل[2].

و يؤيدهم في ذلك " عبد الراجحي" حيث يقول :"فإذا كان الأمر كذلك فإن اللغة خلاقة (Creative) بطبيعتها؛ أي كل متكلم يستطيع أن ينطق جملا لم يسبق أن نطقها أحد من قبل و يستطيع أن يفهم جملا لم يسبق أن سمعها من قبل".

وإذن فإن نظرية النحو ينبغي أن تعرف كيف تنتج اللغة جملا لا حد لها ،من عناصر صوتية محدودة[3].

ومما يلفت النظر في هذه التعريفات أنها موجهة بشكل رئيسي الى الجمل باعتبار أنها الوحدة اللغوية الأساسية ،و مهمة القواعد النحوية توليد او خلق الجمل الصحيحة فقط.

ومن ثم فإن هذه النظرية لم تقم للوصف أهمية تعادل الهدف الرئيسي المتمثل في إعطاء تفسير لهذه الظاهرة العقلية الإنسانية ،التي تسمى اللغة، ومن هنا كان الشغل الشاغل لهذه النظرية هو تحديد صيغة القواعد اللغوية التي تمثل ذلك النظام الذهني ، فالقواعد هي موضوع الدارسين و العلماء في هذه النظرية[4] .

وهذا يعني أن تلك القواعد يجب أن تكون قادرة على توليد جميع الجمل الممكنة من الناحية النظرية في تلك اللغة.

الإنسان يميز هذه القدرة على اللغة ،و لكي نصل إلى هذه الغاية يرفض "تشومسكي " النحو الوصفي الذي يقف عند الوقائع اللغوية كما يقدمها البحث الحقلي في أشكالها العقلية[5] .

---

[1] ينظر ، حسام البهنساوي ،أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث ،ص.29.

[2] محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات ،ص.83.

[3] عبده الراجحي، النحو العربي و الدرس الحديث(بحث في منهج)،ص.114.

[4] ينظر : حسام البهنساوي ،أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث ،ص.29.

[5] عبده الراجحي، النحو العربي و الدرس الحديث(بحث في منهج)،ص.114.

وعليه فتشومسكي رفض المنهج الوصفي ،لأنه يعتمد فقط علي الوصف المادي للغة، وهذا ما يؤكده قول الدكتور "محمود فهمي حجازي" في قوله :"إن الفكرة الأساسية في النحو التوليدي تتجاوز مجرد الوصف إلى محاولة تحديد مجموع الإمكانيات التعبيرية في اللغة قيد الدراسة ،وهذه الإمكانات كامنة عند مستخدم اللغة حتى يستطيع بالمختزن لديه منها أن يفهم جملا و تعبيرات لم يسبق له أن سمعها أو قرأها"[1]

ويؤكد البهنساوي أن "تشومسكي" يرى أن النظرية اللغوية يجب أن تحلل قدرة المتكلم على أن ينتج الجمل التي لم يسمعها من قبل و تفهمها ،فيقوم عمل عالم اللغة ، على صياغة القواعد التي بمقدورها إنتاج مادة البحث ،أي القواعد القائمة ضمن مقدرة متكلم اللغة على إنتاج الجمل و تفهمها[2].

وعليه يمكن القول أن فهم "تشومسكي" للغة يختلف عن فهم أصحاب الاتجاه الوصفي ،فاللغة عنده هي تلك القدرة التي يملكها كل فرد متكلم مستمع مثالي ،و التي تمكنه من التعبير عما يريد بجمل نحوية جديدة لم يسمعها من قبل.

فالنظرية التوليدية كما حددها تسومسكي تخص (المتكلم-السامع) المثالي المنتمي إلى جماعة بشرية لها نفس اللغة.

وقد اعتمد في هذه النظرية على مجموعة من المفاهيم :كالبنية العميقة التي تمثل القدرة الكامنة أو الكفاءة اللغوية وأن الجمل المقبولة تستمد مقبوليتها من البنية السطحية، التي تمثل الأداء الكلامي المنطوق[3].

ويؤكد الدكتور "عبدو الراجحي " أن هناك جانبين لا مناص من الاهتمام بهما معا لفهم اللغة الإنسانية ،أما الجانب الأول فهو الأداء اللغوي (Actual Lingustic porformance) وهو الذي يمثل ما ينطقه الإنسان فعلا، أي يمثل البنية السطحية لكلام الإنساني و أما الجانب الثاني فهو الكفاءة التحتية (Underiying Competence) عند هذا المتكلم السامع المثالي و هي تمثل البنية العميقة للكلام[4].

إن القدرة اللغوية التي يمتلكها كل متكلم أو مستمع جيد للغة و التي تسمح له بإنتاج و توليد عدد لا متناهي من الجمل ،و التي تعد أساس النظرية التوليدية ،لم تكن كذلك خافية عن "عبد القاهر الجرجاني " فهو يقول :"اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع

[1] محمود فهمي حجازي ،علم اللغة بين التراث و المناهج الحديثة،ص.77-78.
[2] ينظر : حسام البهنساوي ،أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث ،ص.29.
[3] ينظر : المرجع نفسه ،ص.30.
[4] عبده الراجحي، النحو العربي و الدرس الحديث(بحث في منهج)،ص.115.

كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ،وتعمل على قوانينه و أصوله و تعرف مناهجه، التي لا تزيغ عنها ،و تحفظ الرسوم التي رسمت لك ،فلا تخل بشيء[1] منها".

وفي هذا الاطار يقول الدكتور "حاتم صالح الضامن" لقد أخضع النحو لفكرة النظم حيث قال :"معلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض ، و جعل بعضها بسبب من بعض"[2].

وقال "الجرجاني" أيضا :" واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علما لا يعتريه الشك ،أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ،و يبنى بعضها على بعض ،و تجعل هذه بسبب من تلك"[3].

ويقول الدكتور "تمام حسان " :"فأما النظم فقد جعله عبد القاهر للمعاني ؛أي أن النظم في معناه عند عبد القاهر هو تصور العلاقات النحوية بين الأبواب كتصور علاقة الإسناد بين المسند إليه و المسند ،و تصور علاقة التعدية بين الفعل و المفعول به[4] .

وعليه فقد أدرك "عبد القاهر الجرجاني" قواعد الكفاءة الذاتية التي يجب أن تتوفر لكل متكلم مستمع جيد للغة ، ومن ثم فإن الجمل التي يتم توليدها وفقا لقواعد الكفاءة الذاتية ،إنما هي جمل أصولية لأنها تنتمي إلى الكفاءة الذاتية الصحيحة التي لا يخطئ صاحبها ،و ينبغي على المتكلم أن يراعي قواعد صحتها كي يكون كلامه صحيحا و جمله سليمة[5].

وبناء على ذلك فإن ما توصل إليه تشومسكي قد أدركه قبله "عبد القادر الجرجاني".

وتقول نورية شيخي :""انطلق كل من الجرجاني و تشومسكي في اعتبار الجملة هي الوحدة اللغوية الأساسية ،و كلا العالمين لاحظ أن الجملة هي أهم بنية لغوية ، باعتبارها الأساس الذي ينطلق منه إلى المعاني ،فالأصوات ،فهي عند "الجرجاني "شكل لغوي مستقل تتألف من مسند و مسند إليه ،و هذا التأليف جار في كل الأشكال التي تأخذها الجملة ،كما أن المعني تنطلق منها ،انطلاقا من علاقتها بالجمل الاخرى في السياق التي هي فيه[6] .

[1] ينظر: حسام البهنساوي ،أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث ،ص.29.
[2] حاتم صالح الضامن،الموسوعة الضغيرة 47،نظرية النظم تاريخ و تطور،دار الحرية للطباعة ،بغداد،1979م،ص.47.
[3] المرجع نفسه،ص.49.
[4] تمام حسان ،اللغة العربية معناها مبناها،ص.12.
[5] ينظر : حسام البهنساوي ،أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث ،ص.32.
[6] ينظر : نورية شيخي ،الجملة في ضوء الدراسات اللسانية المعاصرة ،النص القرآني أنموذجا،ط(01) دار المتنبي،سوريا،2013م،ص.229.

ويتجلى لنا ذلك في قوله :"وذلك أنا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه ،غير أن ينظر في وجوه كل باب و فروقه ،فينظر في الخبر، إلى الوجوه التي تراها في قولك "زيد منطلق" و"زيد ينطلق" و"ينطلق زيد" و "منطلق زيد" و"زيد المنطلق" و "المنطلق زيد" و"زيد هو المنطلق" و"زيد هو منطلق" فهذه جميعا جمل أصولية صحيحة استوفت قواعد الكفاءة الذاتية و جاءت متوافقة مع الصحة القاعدية التي وضعها علماء النحو في باب الخبر "[1] .

وعليه فإن "الجرجاني "أعتمد التوليد الدلالي فمثلا "منطق زيد" يختلف عن "زيد المنطلق"، ففي الأول إخبار عن انطلاق زيد، وفي الثانية إخبار عن المنطلق و كأنه يجيب عم السؤال :من المنطلق؟[2].

ويقدم "عبد القادر الجرجاني " نماذج أخرى من الجمل العربية ،التي تمثل كقاعدة لغوية صحيحة ،ومن ثم فإنها تعد جملا أصولية ،تراعي الصحة القاعدية التي وصفها علماء النحو.

ففي باب الشرط و الجزاء مثلا يقول :"وفي الشرط و الجزاء ينظر الباحث الى الوجوه التي تراها في قولك :إن تخرج أخرج، و "إن خرجت خرجت" و "إن تخرج فأنا خارج" و"أنا خارج إن خرجت" و "أنا إن خرجت خارج" "[3].

ويؤكد "عبد القاهر" ضرورة توفر الصحة القاعدية الى جانب توفر صحة الكفاءة الذاتية ،التي لا تكون الجمل أصولية إلا بها [4] .

أي أن "الجرجاني" ركز على القدرة اللغوية التي يمتلكها كل فرد متكلم مستمع قادر على إنتاج عدد لا متناهي من الجمل النحوية الصحيحة.

وفي مقابل تلك النماذج التي تمثل الكفاءة اللغوية الصحيحة و تعد من ثم جملا أصولية ،يقدم "عبد القاهر" مجموعة من الأشعار التي خرقت في نظمها قواعد الأصولية ،ومن ثم فأنها ليست أصولية ، و يقدم مجموعة من أشعار "الفرزدق" و "المتنبي" و "أبي تمام" ،ويؤكد من خلالها فساد نظمها لكونها خرجت في نظمها عن معاني النحو و أحكامه حيث يقول في قول "الفرزدق":

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إلاَّ مُمَلَّكًا أَبُو أُمِّهِ حَيٌّ أَبُوهُ يُقَارِبُهْ

وقول "المتنبي":

أَلطَّيبُ أَنْتَ إذا أَصابَكَ طِيبُهُ والماءُ أَنتَ إذا اغتَسَلْتَ الغاسِلُ

[1] ينظر : حسام البهنساوي ،أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث ،ص.32.
[2] ينظر : نورية شيخي ،الجملة في ضوء الدراسات اللسانية المعاصرة ،النص القرآني أنموذجا،ص.245.
[3] ينظر: حسام البهنساوي ،أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث ،ص.32.
[4] المرجع نفسه ،ص.33.

وقول "أبي تمام":

ثانيه في كَبِدِ السماء ولم يكن لاثنين ثَانٍ إذ هُمَا في الغار [1]

وعليه فإن نظرية النظم تقوم على معاني النحو ،و قد تعرض "الجرجاني" إلى مفهومه حيث اعتبره الإنابة عن مختلف المعاني الموجودة في الكلام ،ووظيفته تتعدى ذلك إلى بيان حسن الجودة و تعليل الرداءة[2]

وفي نظائر ذلك مما وصفوه بفساد النظم، و عابوه من جهة سوء التأليف أن الفساد و الخلل كامن من تعاطي الشاعر ما تعاطاه في هذا الشأن على غير الصواب ، وضع من تقديم وتأخير أو حذف أو إضمار أو غير ذلك مما ليس له أن يضعه، وما لا يسوغ و لا يصح على أصول هذا العلم[3]

بعد ذلك يقدم "الجرجاني" مجموعة من الأبيات الشعرية ، يؤكد فيها توفر عناصر الكفاءة الذاتية التي تمكن صاحبها من أن ينشئ جملا أصولية تراعي في ذات الوقت الصحة القاعدية ،و ذلك في تعليقه على قول البحتري:

بَلَوْنا ضَرائبَ مَن قَد نَرَى فما إن رأينا لفتحٍ ضَريبَا
هُوَ المَرْء أبدت له الحادثات عزْمًا وَشِيكًا ورأيًا صَلِيبا
تنَقَّل فِي خُلُقَي سُؤدَدٍ سَماحًا مُرَجَّى وبَأسًا مَهيبَا
فكالسّيفِ إنْ حِئتَه صارخًا وكالبَحْرِ إنْ حِئتَه مُسْتَثيبَا[4]

حيث علق على هذه الأبيات بقوله "فإنك تعلم ضرورة أن ليس إلا أنه قدم و أخر و عرف و نكر ،وحذف و أضمر ،وكرر وأعاد وكرر و توكى على الجملة وجها من الوجوه التي تقتضيها علم النحو"[5].

لقد أجاد عبد القاهر أيما إجادة ،عندما جعل النظم، أو ما يطلق عليه بالبنية العميقة، وأن يراعي المتكلم قواعد صحتها ،المتمثلة في القدرة الكامنة في أذهان أصحابها ،إلا أنه يؤكد أهمية قدرة المتكلم على صياغة البنية السطحية ،وفقا لقواعد الكفاءة في البنية العميقة [6].

فهو إذن يولي اهتماما جليا بما يطلق عليه في النظرية التوليدية التحويلية بالحدس اللغوي ،الذي يعد الموجه الأول للتفسير الدلالي[7].

---

[1] ينظر : المرجع نفسه ،ص.32.
[2] ينظر: صالح بلعيد، التراكيب النحوية و سياقتها المختلفة عند الامام عبد القاهر الجرجاني،(د-ط)،ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر،1994م،ص.219.
[3] ينظر : حسام البهنساوي ،أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث ،ص.35.
[4] ينظر : المرجع نفسه ، نفس الصفحة.
[5] المرجع نفسه ،ص.36.
[6] المرجع نفسه ،الصفحة نفسها.
[7] ينظر : المرجع نفسه ،ص.35.

حيث أشار الدكتور "خليل العمايرة" إلى أن البنية السطحية و البنية العميقة عند تسومسكي قائلا :"يرى تشومسكي أن العملية بؤرة التحليل اللغوي من حيث علاقتها بالمعنى. وتحقيقها وجهان ،سطحي ،خارجي ،ظاهر(Surfacestaucture) و تحتي باطني ،عميق(Deepstaucture)[1]

ويرى أن الجرجاني عالج قضية البنية السطحية و البنية العميقة ،من خلال أوضاع قائلا: "يرى الجرجاني أن المباني الصرفية التي تحتويها اللغة و تحتاج إلى شيء أخر لتكون قادرة على جعل السامع يعرف غرض المتكلم و مقصوده ،المقصود الذي هو بالتأكيد ليس معاني الكلمة المفردة ،فالكلمات وحدها لا تفيد حتى تؤلف ضربا خاصا من التأليف[2]".

لقد حسم "الجرجاني" قضية ربط النحو بالدلالة ،وبين أهمية هذا الربط ، و ضرورة اعتماد المكون التركيبي على المكون الدلالي ،تلك العلاقة التي تأخرت النظرية التوليدية التحويلية في إدراكها و معرفة أهميتها ،ليدرك "تشومسكي " بعد ذلك ضرورة إدخال المكون الدلالي ،باعتباره مكونا تفسيريا ،من أجل إلقاء الضوء على المكونات التركيبية[3].

لقد حسم عبد القاهر هذه المسألة بضرورة الربط بين النحو و الدلالة.

ويقرر المؤلف الذي نحن بصدد دراسته أن "عبد القاهر الجرجاني" قد أولى الجانب الدلالي الأهمية التي أولاها للتركيب النحوي و أنهما يتضافران من أجل الوصول إلى النظم البليغ.

ومن ثم فإن ادراك "الجرجاني" لأهمية الجانب الدلالي لم يكن إدراكا بأهميته التفسيرية باعتباره مكونا تفسيريا فحسب ،كما يذكر ذلك "تشومسكي"،بل إدراك بأهميته باعتباره ندا مماثلا للتركيب النحوي[4] .

ويرى تمام حسان أن النظم كما فهمه الجرجاني ،هو نظم المعاني النحوية في نفس المتكلم ، لا بناء كلمات في صورة جملة و يمكن فهم ذلك من عبارتين هما رأيه: "أن مدار أمر النظم على معاني النحو" و "انه لا معنى للنظم غير أن توفي معاني النحو فيما بين الكلم "[5].

وعليه فالجرجاني ربط النحو بالدلالة.

---

[1] خليل أحمد عمايرة،المسافة بين التنظير النحوي و التطبيق النحوي،ط(01)،دار وائل للنشر و التوزيع،الاردن،2004م،ص.294.

[2] المرجع نفسه،ص.300.

[3] ينظر ، حسام البهنساوي ،أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث ،ص.35 .

[4] ينظر : المرجع نفسه ،ص39.

[5] تمام حسان ،اللغة العربية معناها و مبناها،ص.187.

و يقول حاتم صالح الضامن في حديثه عن الجانب الدلالي :"وهو أن الاعتبار بمعرفة مدلول العبارات لا بمعرفة العبارات: فإذا عرف البدوي الفرق بين أن يقول :جاءني زيد راكبا" ، و بين قوله جاءني زيد الراكب ،لم يضره أن لا يعرف أنه إذا قال (راكبا) أنه حال ،وإذا قال (الراكب)،انه صفة جارية على زيد ،وإذا عرف في قوله :زيد منطلق ، أن زيد مخبر عنه ، و منطلق خبر، لم يضره أن تسمي زيدا مبتدأ.[1]

فالقاعدة إذن ليست الهدف و إنما الهدف هو الدلالة على المعنى ، و بالتالي فهو بربط النحو بالدلالة :بل لا يمكن الفصل بينهما[2].

ولعل ادراك "عبد القادر الجرجاني" بأهمية المكون الدلالي جعلته يأتي له على وجه التفصيل مبينا أنواعه المختلفة التي تكون عليها في التركيب العربي ،حيث يقول "فالاسم يتعلق بالاسم ،بأن يكون خبرا عنه ،أو حالا منه ،أو عطفا بحرف ،أو بأن يكون الأول مضافا إلى الثاني ،أو بان يكون الأول يعمل في الثاني عمل الفعل و يكون الثاني في حكم الفاعل له، أو المفعول وذلك في اسم الفاعل كقولنا":

"زيد ضارب أبوه عمرا"[3]

أما تعلق الاسم بالفعل ،فبأن يكون فاعلا أو مفعولا فيكون مصدرا قد انتصب به لقولنا: "ضربت ضربا" ،و يقال له المفعول المطلق و مفعولا به كقولك: ضربت زيدا ، أو ظرفا مفعولا فيه ،زمانا أو مكانا كقولك: خرجت يوم الجمعة ووقفت أمامك[4].

وأما تعلق الحرف بهما فعلى ثلاثة أضرب:

احدهما :أن يتوسط بين الفعل و الاسم ،فيكون ذلك في حروف الجر التي من شأنها أن تعدي الأفعال إلى مالا يتعدى إليه بأنفسها ،من الأسماء مثل أنك تقول :مررت فلا يصل إلى نحو :"زيد و عمر" ،فإذا قلت :"مررت بزيد" و على زيد وجدته قد وصل بالباء أو على.

و كذلك سبيل الواو و الكائنة بمعنى مع ،و كذلك حكم إلا في الاستثناء فإنها عندهم بمنزلة هذه الواو و الكائنة بمعنى مع في التوسط ،وعمل النصب في المستثنى للفعل ،ولكن بوسيطاتها و عون منها.

و الضرب الثاني :من تعلق الحرف بما يتعلق به "العطف"، وهو أن يدخل الثاني في عمل الأول كقولنا: "جاءنا زيد و عمرو".

---

[1] حاتم صالح الضامن،الموسوعة الضغيرة 47،نظرية النظم تاريخ و تطور،ص.47.

[2] ينظر :المرجع نفسه،ص.52.

[3] ينظر ، حسام البهنساوي ،أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث ،ص.39.

[4] ينظر : المرجع نفسه ،ص.40.

و الضرب الثالث : تعلق بمجموع الجملة ،كتعلق حرف النفي و الاستفهام و الشرط و الجزاء ،بم يدخل عليه[1].

هذه هي الطرق و الوجوه في تعلق الكلم بعضها ببعض، وهي معاني النحو و أحكامه، و يظهر منها أن الكلام لا يكون من جزء واحد، و أنه لابد من مسند و مسند إليه ،وهما ركنا الجملة الأساسيان[2].

فالنظم عنده ليس سوى حكم من النحو نتوخاه، حيث قال :"وقد علمنا بان النظم ليس سوى حكم من النحو نمضى في توخيه "[3].

وأورد صالح الضامن بعد ذلك قول الجرجاني :"و اعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علما لا يعتريه الشك، أن لا نظم في الكلم ،و لا ترتيب حتى يعلق بعضه ببعض، و يبني بعضها على بعض ،و تجعل هذه بسبب من تلك، هذا مالا يجهله عاقل، و لا يخفى على أحد من الناس"[4].

فليست العمدة في معرفة قواعد النحو وحدها و لكن فيما تؤدي إليه هذه القواعد و الأصول [5].

و يشاطره في ذلك الدكتور "تمام حسان" حيث يرى أن أذكى محاولة لتفسير العلاقات السياقية في تاريخ التراث العربي إلى الأن هي ما ذهب إليه "عبد القاهر الجرجاني "صاحب مصطلح "التعليق"[6].

و قد عده الدكتور "تمام حسان" أعني "التعليق" أخطر شيء تكلم فيه "الجرجاني" حيث يقول :"وأما أخطر شيء تكلم فيه "عبد القاهر" على الإطلاق فلم يكن النظم و لا البناء و الترتيب وإنما كان "التعليق" و قد قصد به في زعمي إنشاء العلاقات بين المعاني النحوية بواسطة ما يسمى القرائن اللفظية و المعنوية و الحالية[7] .

ويضيف تمام حسان فيقول :"وفي رأيي ،كما كان في رأي "عبد القاهر الجرجاني" على اقوى احتمال ،أن التعليق هو الفكرة المركزية في النحو العربي ، فالتعليق إذا هو الاطار الضروري للتحليل النحوي أو كما يسميه النحاة الإعراب"[8]

ويقول أحمد عمايرة "و بالتالي فهو يشير إلى التعليق" من خلال عملية التأليف.

---

[1] ينظر : المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.
[2] حاتم صالح الضامن،الموسوعة الضغيرة 47،نظرية النظم تاريخ و تطور،ص.47.
[3] المرجع نفسه ،ص.49.
[4] ينظر :المرجع نفسه،الصفحة نفسها.
[5] ينظر :المرجع نفسه،ص.30.
[6] تمام حسان ،اللغة العربية معناهاو مبناها،ص.176.
[7] المرجع نفسه ،ص.188.
[8] المرجع نفسه ،ص.189.

النظم←التعليق← علم النحو (قوانين النحو و أصوله)← المعنى الدلالي بين السامع و المتكلم.[1]

ويرى الدكتور "علي زوين" أن النظم عند "الجرجاني" أساسه المعنى ،و تتفاضل الألفاظ بقدر دلالتها على المعاني ، والدلالة على أنهن عند "الجرجاني" على ضربين :دلالة مباشرة ،و دلالة غير مباشرة[2].

فالمعنى : هو "المفهوم من ظاهر اللفظ و الذي تصل إليه بغير واسطة ،و معنى المعنى: هو "أن تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى أخر " "[3]

فأساس النظم عند عبد القاهر هو المعنى ،و تتالى الألفاظ في تراكيب مختلفة للدلالة على المعاني المتقاربة من حيث الوضوح و العمق و التأثير في النفوس و الزيادة و النقصان و التوليد و النفي و الإثبات ...[4]

و لا يعني عبد القاهر تتالي الألفاظ أن ترصف بغضها إلى جنب بعض ،بل يعني بها التناسق الدلالي بين هذه الألفاظ المرصوفة[5].

ويقول المؤلف :"ليس من شك في أن عبد القاهر وهو يستعرض لنا على هذا النحو من التفصيل الشافي الوافي لنماذج التعليق و أمثلته في العربية ،إنما يدل على اقتداره و تمكنه ،الذي ادرك بفطنته و ذكائه العلاقة الوثيقة بين المكون الدلالي و البنية العميقة في التراكيب النحوية ،وأن ما قدمه من نماذج للتعليق بين الاسم و الاسم ،ما كان الوقوف البتة فيها على دلالتها الحقيقية ،إلا من خلال الوقوف على البنية العميقة الحقيقية للتراكيب المذكورة.

وما كان يمكن استقامة تلك التراكيب و صحتها في بنيتها السطحية إلا من خلال التأويل الدلالي الصحيح."[6].

إن نماذج التعليق التي ذكرها الجرجاني سواء تعلق الاسم بالاسم أو تعلق الاسم بالفعل ،أو تعلق الحرف بكل من الاسم و الفعل يبين درجة تمكنه في إلقاء الضوء على الأبنية السطحية من الأمثلة و النماذج التي ذكرها ،وما هو التفسير الدلالي الصحيح لمثل هذا التعليق[7].

ويؤكد البهنساوي أن مجرد نظرة فاحصة مدققة إلى الأمثلة و النماذج التي ذكرها الجرجاني عن التعليق على اختلاف صورها تدل دليلا قاطعا ،على إدراك الجرجاني

---

[1] خليل أحمد عمايرة،المسافة بين التنظير النحوي و التطبيق النحوي،ص.302.
[2] ينظر ،علي زوين ،منهج البحث اللغوي بين التراث و علم اللغة الحديث"دراسات"، ،ص:160-161.
[3] المرجع نفسه ،ص.161.
[4] المرجع نفسه ،ص.162.
[5] المرجع نفسه،الصفحة نفسها.
[6] ينظر :حسام البهنساوي ،أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث ،ص.41 .
[7] المرجع نفسه ،ص.42.

لأهمية المكون الدلالي ،و ما يقدمه من تأويلات و تفسيرات و توضيحات على الترتيب[1].

وأنه تشديد الصلة بالبنية العميقة ،التي تمده بالتأويلات الدلالية ،هذه الخطوة الفذة التي لم يدرك تشومسكي حقيقتها إلا بعد سنوات[2].

ويضيف بقوله :"ونستطيع أن نؤكد أن الإضافات و التعديلات التي قام بها تشومسكي ،و ما يزال و كذلك ما يقوم بها زملاؤه و تلامذته إنما جاءت لتعالج القصور الناتج عن عدم إدراج المكون الدلالي في أول الأمر"[3].

ويقول الدكتور "علي زوين":" أما المدرسة التحويلية فقد جعلت المعنى عنصرا أساسيا في التحليل أوفي وصفها للغة ،وغرضهم من ذلك كله الوصول إلى معرفة النظام الكامل لدلالات المفردات أولا ،ثم طرق اقتران بعضها ببعض لتكوين الجمل ذات المعنى المفهوم و المقبول ،وذلك من خلال اللغة نفسها"[4].

أما القواعد التحويلية ،ودورها الهام في إلقاء الضوء على الأبنية السطحية للتراكيب النحوية المنطوقة ،و التي تستعين في عملية التحويل للأبنية العميقة بالمكونات التركيبية و الدلالية و الفنولوجية، لم تكن هذه القواعد بعيدة عن إدراك الجرجاني ،حيث عرضها في كتابه القيم "دلائل الإعجاز" بين دورها الفعال في إلقاء الضوء على التراكيب النحوية ،فلقد عرض باقتدار لقواعد التقديم ،ذاكرا أن ذلك :"باب كثير الفوائد ،جم المحاسن ،واسع التصرف ،بعيد الغاية" و بين أن التقديم يأتي على وجهين:

الأول : تقديم يقال على نية التأخير.

و الثاني :تقديم لا على نية التأخير.[5]

وفي هذا يرى "حاتم علي صالح" أن الجرجاني عقد فصولا لا يصور فيها نظريته و يبدأ بالتقديم و التأخير لإبراز الكلام، حيث يقول :"واعلم أن تقديم الشيء على وجهين :تقديم يقال أنه على نية التأخير و ذلك كل شيء أقررته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه وفي جنبه الذي كان فيه كخبر المبتدأ إذا قدمته على المبتدأ ،و المفعول إذا قدمته على الفاعل...و تقديم لا على نية التأخير و لكن على أن تنقل الشيء عن حكم و تجعله بابا غير بابه ،وإعرابا غير إعرابه ،وذلك أن تجيئ إلى إسمين

[1] المرجع نفسه ،الصفحة نفسها

[2] ينظر :حسام البهنساوي ،أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث ،ص. 42.

[3] ينظر :المرجع نفسه،ص.43.

[4] ينظر ،علي زوين ،منهج البحث اللغوي بين التراث و علم اللغة الحديث"دراسات"، ص.175.

[5] ينظر : حسام البهنساوي ،أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث ،ص. 43.

يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأ و يكون الأخر خبرا له فتقدم هذا على ذاك و أخرى ذاك على هذا"[1].

لقد ميز الجرجاني بين تقديم على نية التأخير لأنه لا يؤدي إلى تحولات قواعدية ، و تقديم لا على نية التأخير لأنه يؤدي إلى تحولات قواعدية[2].

وتقديم الخبر على المبتدأ ،و المفعول على الفاعل كقولك :"منطلق زيد" و"ضرب عمرا زيد" ،فنلاحظ أن الخبر "منطلق" لم يتغير حكمه الإعرابي رغم تقديمه ، و المفعول "عمرا" لم يتغير وصفه الإعرابي رغم تقديمه و هذا تقديم على نية التأخير.

أما التقديم لا على نية التأخير : وذا حيث تقول مرة "زيد المنطلق" و أخرى "المنطلق زيد" فهنا تغير الرتبة يؤدي إلى تغير الحكم الإعرابي و يكون الهدف من هذا التقديم لأغراض بلاغية كالعناية و الاهتمام.

وهنا تلتقي وجهة نظر الجرجاني مع رؤية تشومسكي الذي دعا إلى التمييز بين تقديم أسلوبي و تقديم يؤدي إلى تحولات قواعدية[3].

كما يعرض لقواعد الحذف ،و يذكر أنها تكون إجبارية و تكون اختيارية فإنك ترى به ترك الذكر ،أفصح من الذكر ،و الصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ،وتجدك تنطق إذا لم تنطق ،و أتم ما تكون بيانا إذا لم تبن[4].

ويتمثل عبد القاهر الجرجاني إلى الحذف فيقول :"هو باب دقيق المسلك ،لطيف المأخذ ،عجيب الأمر ،شبيه بالسحر..."[5]،ثم يعرض أبيات من الشعر الجيد لأبيات حذف المبتدأ فيها ،كقول الشاعر:

سأشكر عمرا إن تزاحمت منيتي أيادي لم تمن وإن هي جلت

والأصل :هو فتى :يقول إن النفس تحس في مثل هذا الحذف أنا[6].

وهو يذكر أيضا أهمية الزيادة، و يوضح الجرجاني أهمية الزيادة بصورة أوضح فيقول :"ولهذا الذي ذكرنا من أن للتصريح عملا ،لا يكون مثل ذلك العمل للكناية"[7].

وإذا كان "الجرجاني " هو الفارس المجلي حقا في ميدان النحو التحويلي ،على النحو الذي اكدناه ،من أدراكه للعديد من الأسس و المنطلقات ،التي اعتمدها النظرية التوليدية التحويلية سواء عند "تشومسكي" أو عند تلامذته[1].

---

[1] حاتم صالح الضامن،الموسوعة الضغيرة 47،نظرية النظم تاريخ و تطور،ص.55.

[2] ينظر : نورية شيخي ،الجملة في ضوء الدراسات اللسانية المعاصرة ،النص القرآني أنموذجا ، ص.230.

[3] ينظر :المرجع نفسه،ص.231.

[4] ينظر ، حسام البهنساوي ،أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث ،ص: 44-45.

[5] حاتم صالح الضامن،الموسوعة الضغيرة 47،نظرية النظم تاريخ و تطور،ص.58.

[6] المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

[7] ينظر : حسام البهنساوي ،أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث ،ص:(45-46).

لاشك أن "الجرجاني" يعد مؤسس نظرية النظم دون منازع ،وأن ما قدمه كان أساسا للعديد من النظريات سواء القديمة أم الحديثة.

بعد ذلك ينتقل البهنساوي إلى عالم أخر و هو العالم النحوي الجليل "سيبويه" ،صاحب أول عمل نحوي متكامل يصل إلينا ،على الرغم من أنه يمثل مرحلة النشأة و التكوين لهذا العلم العربي، وإن النشأة لربما يعتريها بعص القصور أو عد م الوضوح ،فإن الذي لا شك فيه أن كتاب "سيبويه قد وصلنا في صورة مثلى ،وعلى درجة عالية من الرقي العلمي ويرى أن إعادة قراءة الكتاب في ضوء مناهج البحث اللغوي الحديث أمرضروري ،بل واجب علمي تتطلبه ضرورات التقديم لهذا التراث العربي الفاخر "[2]

ويجب على العلماء على العلماء و الباحثين أن يتوقفوا مليا أمام هذا الصنيع وأن يستخلصوا من تقسيماته و مصطلحاته ،مقاصدها الأساسية، و معانيها الجوهرية ،و كيف أنها لا تختلف عن التصنيفات و التقسيمات التي تقدمها المناهج اللغوية الحديثة.

ولعل موازنة فاحصة مدققة بين ما ذكره سيبويه عن استقامة الكلام و استحالته في باب عقده لذلك سماه "باب الاستقامة من الكلام و الإحالة"[3].

حيث يقول :"هذا باب الاستقامة من الكلام و الإحالة ،فمنه مستقيم حسن ،و محال، ومستقيم كذب ،و مستقيم قبيح ،وما ه ومحال كذب ،فأما المستقيم الحسن فقولك :أتيتك أمس و سأتيك غدا ،وأما المحال فأن تنقض أول كلامك بأخره فتقول :أتيتك غدا و سأتيك أمس ،وأما المستقيم الكذب فقولك :حملت الجبل و شربت ماء البحر و نحوه، وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه نحو قولك :قد زيدا رأيت وكي زيدا يأتيك ،وأشباه هذا وأما المحال الكذب فأن تقول سوف أشرب ماء البحر أمس"[4].

فسيبويه يجعل مدار الكلام على تأليف العبارة و ما فيها من حسن أو قبح ، ووضع الألفاظ في غير موضعها دليل على قبح النظم و فساده.

وعليه فقد جعل سيبويه الكلام المستقيم ثلاثة أقسام و هي :

1. المستقيم الحسن.
2. المستقيم الكذب.

---

[1] ينظر: المرجع نفسه،ص.46.

[2] ينظر : حسام البهنساوي ،أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث،ص.46.

[3] ينظر:المرجع نفسه ،ص.47.

[4] حاتم صالح الضامن،الموسوعة الصغيرة 47،نظرية النظم تاريخ و تطور،ص.(7-8).

3. المستقيم القبيح.

في حين جعل الكلام المحال في قسمين هما:

1. المحال.
2. المحال الكذب.

فالكلام عنده إذن قسمان اثنان لا ثالث لهما، وإن مقاربة فاحصة تؤكد لنا بوضوح مدى الصلة بين مصطلحي الكلام المستقيم و الكلام المحال عند سيبويه ،وبين مصطلح الكلام الأصولي و الكلام غير الأصولي عند تشومسكي[1].

بالإضافة إلى وجود مصطلحات أخرى تتصل بالمصطلحين السابقين و يمكن تصنيف هذه المصطلحات إلى ما يلي:

1. جيد.
2. عربي.
3. كثير.
4. جائز.
5. أقيس.
6. غلط[2].

وتأتي هذه المصطلحات في الكتاب على صور متنوعة من الأوصاف و المسميات على النحو التالي:

1. ففي مصطلح جيد يقول أيضا: جيد بالغ و اقوى و أجود و اكثر
2. وفي مصطلح عربي يقول أيضا عربي جيد ،وعربي حسن و عربي حيد حسن، و عربي جائز، و عربي كثير.
3. وفي مصطلح كثير يقول أيضا :اكثر، واكثر، وعربية كثيرة ،واكثر وأجود ،والغالب في كلام الناس ،وأعرف وأكثر ،و ليس بالكثير، وقليل، وأقل ،و قليل خبيث .
4. وفي مصطلح جائز يقول أيضا :جائز بعيد ، جائز قبيح ، ولم يجز، لا تقول ،ولم يجز إلا في الشعر.

[1] ينظر ، حسام البهنساوي ،أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث ،ص(47-48).
[2] المرجع نفسه،ص.48.

5. وفي مصطلح غلط يقول أيضا :خطأ و ضعيف و خبيث.

ويؤكد البهنساوي أن هذه المصطلحات ،بأوصافها و مسمياتها المختلفة ،تمت بصلة من صلات بالمصطلحين الأساسيين ،الاستقامة و الإحالة ،وأنها جميعا تتعلق بمسألة الاعتماد على الحدس اللغوي[1].

وعليه فإن الأمور التي اعتمدها "سيبويه" أساسا لكون الكلام مستقيما أو محالا ، هي نفسها عند "تشومسكي" و التي تسمى بأصولية الكلام و عدم أصوليته، أو فيما سماه "سيبويه" عربيا أو جيدا أو كثيرا أو غيرها من المصطلحات التي يعتمد فيها الباحث على الحدس اللغوي[2].

وإن التحليل لعناصر الجمل التي أوردها سيبويه يؤكد لنا من خلالها أنها جمل أصولية و غير أصولية و أسباب مقبوليتها و عدم مقبوليتها من جانب أخر[3].

ويقدم البهنساوي نماذج عن الجمل الأصولية و الجمل غير الأصولية وعلى تقسيمات الكلام عند سيبويه ،ومن أمثلة الجمل الأصولية :

أتيك امس و سأتيك غدا. جملتان أصوليتان ،جاءتا متناسبتين و متوافقتين مع القواعد التركيبية.

وقوله :أتيتك غدا و يأتيك أمس ،جملتان غير أصوليتين لأنهما تفتقدان عناصر المناسبة و الموافقة مع القواعد التركيبية[4]

ويضيف البهنساوي أمثلة وردت في كتاب سيبويه تبين الجمل الأصولية وغير الأصولية وهو نفسه الذي ناد به "الجرجاني"و"تشومسكي"،و نذكر منه على سبيل التمثيل.

حملت الجبل و شربت ماء البحر و نحوه ،وسوف اشرب ماء البحر، فإن جملة حملت الجبل ،شربت ماء البحر، سوف أشرب ماء البحر أمس، جمل غير مقبولة غير أن الجملتين الأوليتين :تتوفر لها عناصر الأصولية من حيث التماسك و التوافق بين

[1] المرجع نفسه،الصفحةنفسها.
[2] ينظر ، حسام البهنساوي ،أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث ،ص(48-49).
[3] ينظر : المرجع نفسه ،ص 49.
[4] ينظر: المرجع نفسه ،الصفحة نفسها.

عناصرها ،غير أنهما غير مقبولتين دلاليا ،فهما راعتا قواعد التركيب النحوي و تناقضتا دلاليا[1] .

و لعلنا نلحظ مدى اهتمام "سيبويه" على المكون الدلالي في المصطلح :المستقيم الكذب، فعدم مقبولية هذا المصطلح راجع إلى الإخلال بقواعد الإسقاط الدلالية[2]

يدلنا ذلك على أن القدرة التوليدية عنده تعتمد على القواعد النحوية و المكونات على عكس قررناه عند عبد القاهر الجرجاني ،الذي تؤكد تحليلاته السالف ذكرها، أنه يجعل القدرة التوليدية للقواعد النحوية معتمدة على القواعد الدلالية في المقام الأول[3]

وبرر البهنساوي الاختلاف بين "سيبويه" و "الجرجاني " بقوله :"ولعل هذا الاختلاف ،يرجع إلى الاختلاف بين عالمين ،يهتم أحدهما بالصحة النحوية من أجل صحتها فحسب فيما يهتم الثاني بالصحة النحوية من أجل صحتها فحسب، فيما يهتم الثاني بالصحة النحوية من أجل بيان وجوه البلاغة و الفصاحة"[4] .

لقد استقى "سيبويه" المادة اللغوية التي أسس عليها قواعد الكتاب ،من مصادر متنوعة تشتغل على شواهد القرآن الكريم و الشعر العربي و الأمثال العربية ،إلى جانب سماعه من أفواه العرب، الذين يثق في فصاحتهم وبيانهم. وعدم انحرافه عن المستوى الصوابي للغة العربية الفصحى ،فقد أخذ مشافهة عن قبائل تميم و قيس و بعض طيء وهذيل[5] .

وعليه "سيبويه" قد اعتمد على المادة المدونة المكتوبة و المادة المنطوقة المسموعة، وهي مصادر تمثل بحق ،متكلما مستمعا جيدا للغة المراد دراستها و تحليلها[6].

لقد اعتمد "سيبويه" إذن شأنه في ذلك شأن الخليل ومن سبقه من علماء اللغة العربية، ونحاتهم على مادة لغوية غزيرة مثلت بحق اللغة العربية الفصحى، خير تمثيل، فقد اعتمد على عينات لغوية عديدة و متنوعة، حيث نجده يستشهد بشعراء من العصر الجاهلي و صدر الإسلام و العصر الأموي، كما اعتمد على حوالي مائة

[1] ينظر : المرجع نفسه ،ص 50.
[2] ينظر : المرجع نفسه ،ص.51.
[3] ينظر : حسام البهنساوي ،أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث ،ص.51.
[4] المرجع نفسه،الصفحة نفسها.
[5] المرجع نفسه،ص.52.
[6] المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

و خمسين قبيلة و عشيرة، قد انتقاها من بين سائر قبائل العرب التي احتفظت بفصاحتها و بيانها و لم يصبها اللحن[1].

ويضيف المؤلف :"إننا أمام عالم نحوي ،قد أجاد اختيار مادته اللغوية ،معتمد فيها على الحدس اللغوي العربي"[2].

ومن المعلوم أن الباحث اللغوي لا يمكنه الاعتماد على جميع الشواهد و الجمل الموجودة في اللغة، فهذه الجمل و الشواهد مهما تعددت لا تمثل حصرا لهذه اللغة تلك هي وجهة نظر "ممبولدت" التي أقرها "تشومسكي"[3].

ويؤكد المؤلف أن "سيبويه" ،قد اعتمد على منهج شامل في إطار جمعه للمادة اللغوية، يعتمد فيه أساسا على الحدس اللغوي العربي الفصيح الموثوق بسلامة لسانه و بيانه.

إن اعتمد "سيبويه" على سليقة العربي السليمة ،هو اعتماد على كفاءة العربي و مقدرته اللغوية الصحيحة ،تلك الكفاءة اللغوية ،التي تمثل المعرفة الضمنية لدى المتكلم بقواعد اللغة. و التي تتيح له إنتاج الجمل وهذا ما نادى به "تشومسكي"، وإن اعتماده على نطق الأعراب البدو دون سواهم ،هو اعتماد على أدائهم الكلامي ،واعتداده بقواعد هذا الكلام المنطوق و الأداء العقلي الصحيح، يأتي هذا الاعتماد متفقا مع حدده "تشومسكي" من قواعد الأداء اللغوي أو الكلام المنطوق الذي يأتي متفقا مع قواعد الكفاءة اللغوية[4].

إن اعتماد "سيبويه" في تصنيفه الكلام ،على أسس نحوية تركيبية كما هو الحال عند "تشومسكي" و أتباعه، حيث أن الكلام المستقيم في نظره، هو الكلام المركب أو المبني، وفق الأصول اللغوية النحوية ،و الكلام المحال هو الكلام الذي ينحرف عن الأصول من حيث أن تركيبه أو بناءه لا يراعي القواعد التركيبية النحوية[5]

[1] المرجع نفسه،الصفحة نفسها.
[2] المرجع نفسه،الصفحة نفسها.
[3] ينظر: حسام البهنساوي ،أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث ،ص52-53.
[4] ينظر: المرجع نفسه،ص.53.
[5] ينظر : المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

2-نظرية العامل بين الخليل و تشومسكي:

يقول البهنساوي في هذا الجزء أن نظرية العامل حظيت باهتمام اللغويين المحدثين في الربع الأخير من القرن العشرين ،حيث فرضت هذه النظرية نفسها على ساحة الدراسات اللغوية ،بحيث أصبحت النموذج الأمثل عند علماء النظرية التوليدية التحويلية ،فقد ألف تشومسكي رائد هذه النظرية و مؤسسها عملين هامين حول نظرية العامل مبينا أهميتها و فاعليتها في تحليل التراكيب النحوية و إلقاء الضوء عليها[1].

و تنطلق نظرية الربط العاملي عند تشومسكي من منطلقين أساسين ،تتسم بهما عناصر التركيب النحوي . هذان الأساسان هما.

1-الأثر(Trace).

2-المضمر(Pronominal) .

أولا الأثر: يقول البهنساوي أن هذا الأثر يأتي في صورة مركبا إسمي أو مركب حرفي وهو يشمل على قرنية بالمواصفة.

و حينما تنقل مركبا إسميا في التبئير مثلا من مكان المفعول إلى مكان البؤرة بمعنى انتقاله من موضع المكمل النحوي إلى موضع المسند إليه يترك هذا المنقول وراءه مركبا اسميا يشغل موقعا لا يزيد عن كونه عنصرا معجما و يزود هذا المركب بقرنية تدل على أنه مربوط إحاليا بالعنصر المعجمي الذي انتقل إلى مكان البؤرة و بهذا نستطيع المحافظة في البنية السطحية على العلاقة المحورية عن طريق هذه الأثار[2].

ثانيا المضمر: يقول البهنساوي بأن هذا المضمر ليس له تمثيل صوتي منطوق وهو لدى تشومسكي يمثل أهمية كبرى باعتباره مكونا كبيرا يظهر في البنية المكونية مكان المركبات الاسمية الظاهرة لكن توزيعه يختلف عن توزيع هذه المركبات الاسمية المملوءة معجميا .لأن هذه المركبات يلزمها أن تأخذ علامة إعرابية ،بينما هذا المضمر ليس معمولا حتى يمكن أن يظهر في التركيب في حالة كونه معربا[3].

ويتميز المضمر كما يرى تشومسكي ،بأنه يتضمن إمكانية كونه مضمرا من جهة و عائدا من جهة أخرى و المضمر كما هو معلوم ،لا يربط داخل الجملة.

---

[1] ينظر: المرجع نفسه ،ص.54.

[2] ينظر : حسام البهنساوي ،أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث،ص.54.

[3] ينظر : المرجع نفسه ،ص.55.

و هذا المضمر يتميز بخصائص بأنه مركب إسمي كسائر المركبات الاسمية و المركبات الاسمية على نوعين:

1-مركبات حرة إحاليا.
2-مركبات مربوطة إحاليا.

إن نظرية الربط الإحالي التي يقترحها تشومسكي تعتمد على مفهوم العمل في صياغة المبادئ التي تكونها و هذه المبادئ هي :

1-كل عائد يجب أن يربط في مقولته العاملية.
2-كل ضمير يجب أن يكون حرا في مقولته العاملية.
3-كل محيل حر.

وبعد هذا يقول البهنساوي أن نظرية العامل و الربط السياقي عند رائدها تشومسكي أن المركبات الاسمية تكون على نوعين باعتبار العمل[1]:

1-مركبات معمول فيها.
2-مركبات غير معمول فيها.

كما يتجلى لنا مدى أهمية عنصري الأثر و المضمر في تأسيس هذه النظرية وأن تحديد العامل و المعمول وما يصلح أن يكون معمولا ،وما لا يصلح أن يكون معمولا كل هاتيك من الأمور الهامة ،التي من شأنها أن تلقي الضوء على التحليل الشجري للتراكيب النحوية في بنيتها السطحية ،بعد أن كانت من قبل تستمد قدرتها التوليدية من البنية العميقة.

ثم يضيف البهنساوي أن اعتماد نظرية العامل عند تشومسكي على عنصري الأثر و المضمر و التفاعل الكائن بينهما لعل هذا التفاعل الذي أدركه تشومسكي بين هذين العنصرين ،هو الذي دفعه أن يجعل منها قاعدة كلية يفترض فيها أن العامل في

المفعول هو الفعل وأن العامل في الفاعل هو ما يسمى الصرفة والتي تتضمن صفات التطابق و الزمن و الجهة و هذا العمل يتم بواسطة افتراض بنية شجرية تولدها القاعدة الأتية:

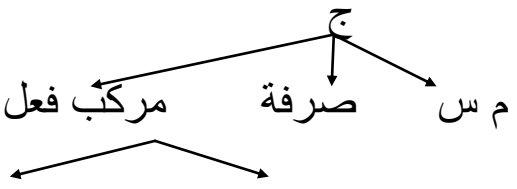

[1]ينظر : حسام البهنساوي ،أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث ،ص.**56.**

ف م س

ج ←م س + صرفة +م ف

م ف ← ف + م س

ويضيف البهنساوي على الهامش هو أنه ينبغي أن نعلم بأن نظام التركيب في الجملة العربية يختلف عن القاعدة التي ذكرها تشومسكي في التخطيط الشجري بحيث لا تتضمن جمل العربية وجود عاملين ،أحدهما يخص الفاعل ،و الأخر يخص المفعول، فالعامل في تركيب العربية يعمل في الفاعل و النصب في المفعول ،والفاعل الناسخ يقوم بالرفع في المبتدأ والنصب في الخبر و هكذا...

والعامل في العربية إما أن يكون لفظيا، مثل الفعل و الحرف والأداة وإما أن يكون معنويا كالابتداء و قد يكون العامل ظاهرا و قد يكون محذوف غير أن فكرة العامل قد تأثرت بالمناهج الفلسفية و أخذ مصطلحات أخرى غير التي عرف عليها[1].

إضافة إلى أن فكرة التأثير هذه مع اختلاف الأسس و المنطلقات التي تتسم بها أية لغة عن غيرها من اللغات ،كانت هذه الفكرة هي الباعث لنظرية العامل في النحو العربي ثم يضيف أيضا أنه ينبغي أن ندرك أن هذه الفكرة كانت مستقرة في أذهان النحاة العرب منذ بدايات التفكير النحوي لذلك أدرك النحاة العرب قدرة التفاعل و التأثير بين مكونات التركيب النحوي بعضها مع بعض.

ثم يتطرق البهنساوي إلى أن الخليل بن أحمد الفراهيدي هو من أوائل النحاة الذين أولوا الأهمية و الاعتبار وحسب رأي الدكتور البهنساوي أن فكرة العامل جاءت الخليل من خلال ملاحظاته ذلك التفاعل بين الحروف و الحركات و الكلمات ،مما جعله يطمئن إلى أن هذه الظواهر اللغوية سواء أكان منها ما يتصل بالبناء أم ما يتصل بحركات الكلام ترجع إلى هذا التأثير الكامل في طبيعة الحروف و الكلمات[2] .

وعليه يضيف البهنساوي أن نظرة الخليل إلى العامل كانت في ضوء تذوقه الحروف و مراقبته الكلمات في ثنايا التأليف و ملاحظة التفاعلات اللغوية بين الأصوات و الكلمات ومن خلال إدراكه لهذه التفاعلات بين الأصوات و الحروف و الكلمات وصل إلى دراسة جديدة هي الهدف من هذا كله ،إنها تتعلق بأسباب تغير

[1] ينظر ، حسام البهنساوي ،أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث ،ص.57.
[2] ينظر : المرجع نفسه ،ص.59.

أواخر الكلمات بتغير موقعها في التراكيب ،وهما لا شك فيه أن أساس هذه الدراسة هو الكشف عن المؤثرات المختلفة ،التي تؤدي إلى مثل هذا التغير ،هذه المؤثرات هي العوامل.

ومن هنا يؤكد البهنساوي أن فكرة العامل في النحو العربي نشأت نشأة لغوية حقا ابتداءا من التأثير و التفاعل بين الأصوات و الحروف و الكلمات و كذلك لا نحتاج الى جهد كبير لكي نؤكد أن النحاة العرب قد أدركوا فكرة العامل و أن أبواب النحو العربي كله قائمة على هذه الفكرة إلا أن هذا العامل قد انحرف عن مفهومه الذي رسمه لنا نحاتنا الأوائل فتهم في بناء الجملة بعدما أقحمت الدراسات الفلسفية و المنطقية و الفقهية على مصطلحات الدراسات النحوية[1] .

العامل يؤثر بكيفيات ثلاثة متباينة في النحو الخليلي:

أ) يؤثر لفظيا وهو تأثير يتحد فيه هذا النحو مع نظرية الربط العاملي .
ب) يؤثر دلاليا بتغيره للمعاني النحوية التي تنبئ عنها الحركات الإعرابية .
ج) يؤثر دلاليا منطقيا لا بتغير الحركات بل بتغير المكون الدلالي الذي يتصدر التركيبين الاسمي أو الفعلي إذ يضيف عليهما دلالات جديدة قد تكون الاستفهام (هل جئت)،التوكيد ،النفي ،فتباين دلالات هذه التراكيب دون أن ينجم عنها تغير في بنائها النووي القائم على ثنائية العامل و المعمول.

إن نظرية تشومسكي أهملت هذا النوع من العامل الذي تقوم عليه التراكيب اللغوية ،في مختلف الألسنة البشرية ،وهو ما أظهرت قوته و أكدت فعاليته النظرية الخليلية[2] .

العامل والمعنى و ظاهر اللفظ إن النحو العربي قد وضع على أسس أبستمولوجيا مغايرة لأسس اللسانيات البنيوية ومن ثم نجد أن النحاة الخليلين في تحليلهم للتراكيب بغية استنباط بنيتها الفعلية ،أي لكل بنية منطقية دلالية عاملا ذا أثر صوتي ،حركة إعرابية قد تكون لفظا أو تركيبا.

[1] ينظر : حسام البهنساوي ،أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث ،ص.60.
[2] ينظر: شفيقة العلوي ،العامل بين النظرية الخليلية الحديثة و الربط العاملي تشومسكي ،حوليات التراث ،ع(07)،2007م،المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة ،الجزائر،ص.09.

أما في نحو تشومسكي ،فنجد الاهتمام بالثنائية (عامل/دلالة) غائبا تماما لأن التركيز عنده منصب على نوع لأخر من المعنى النحوي الذي اصطلح عليه الحالة الإعرابية .

3-مقارنة بين نظرية العامل عند الخليل و عند تشومسكي:

وبعد أن تطرق البهنساوي إلى نظرية العامل عند الخليل و عند نعوم تشومسكي ارتأينا نحن أن نجري مقارنة بين نظرية العامل عند الخليل و عند تشومسكي فجمعناها في النقاط التالية:

1) العامل عند تشومسكي تركيبي، ولذلك نجده (أي تشومسكي) يركز فيه على تحديد وظيفته داخل التركيب أي بيان العناصر التي يتحكم فيها مكونيا .

تحديد نوعه أي العنصر النووي المشرف على الوحدات الاشتقاقية من حيث كونه فعلا، اسما ،حرفا دونما اهتمام بتحديد الدلالات المنطقية لا النحوية المترتبة عنه.

أما في النظرية الخليلية الحديثة / العربية، فالعامل هو

محور التركيب أي المهيمن (باعتباره نواة الكلام)، زيادة على الأصل ذات وظيفة تركيبية .

العامل سبب الحركة الإعرابية (أي هو سبب الآثار الصوتية التي تعكس الحالات الإعرابية). فهو، إذا، سبب بناء الكلام، وبدونه لا يكون (أي الكلام) وتنعدم الفائدة .

إذا، هناك علاقة رياضية تحكمه وعناصره هي :

كل عامل = حالة إعرابية كل حالة إعرابية = علامة إعرابية إذا العامل = علامة إعرابية .

فهذا قانون العمل الجوهري، ولا يمكن تحقق وظيفته إذا أسقط عنصر من هذا القانون اللساني البنيوي. وللأسف ،فإن المتأخرين من النحاة لم يتفطنوا لهذه الوظيفة الأساسية المحورية ،فحصروا النحو في الإعراب ذاته.

2) للعامل في النظرية الخليلية وظيفتان :

-فهو عامل تركيبي - ويسميه الدكتور حاج صالح عبد الرحمن - بنائي أو لفظي يهيمن على بناء الجملة .

-عامل معنوي يحدد المعاني النحوية كالمفعولية والفاعلية والحالية إلخ المتعاقبة على اللفظة بتعاقب العامل اللفظي.[1]

التقدير النحوي والدلالي: لقد تفطنت النظرية الخليلية - في إطار معالجتها للعامل إلى مبدأ التقدير بنوعيه النحوي والحالي. وهو ما يراد به اتفاق البناء بسبب اتفاق نوع العامل مع اختلاف المعنى المنطقي نحو :

عبد الله ذهب أخوه

عبد الله نعم الأخ

عبد الله كان موجودا

عبد الله إنه موجود

فهذه التراكيب اللغوية متحدة من حيث بناؤها العميق، إذ أنها تقوم على التمثيل العاملي التالي :

ع(مع1 + مع2)

لكن لها تقديرات حالية مختلفة؛ ففي الأولى إخبار، والثانية مدح، والثالثة إخبار في زمن ماض ،والأخيرة تتضمن إثبات الخبر وتأكيده.

وهذا يؤكد جوهرا خلافيا بين العامل التشومسكي والخليلي، الذي يميز بين العامل من حيث وظيفته البنيوية والدلالية، أي يميز بين التقدير النحوي والدلالي للجملة. وهذا أساس علم النحو، أي علم العربية.[2]

وكذلك إن كان تشومسكي قد انتهى بنظرية العامل ،فأن الخليل قد ابتداء بها .

[1] ينظر: شفيقة العلوي ،العامل بين النظرية الخليلية الحديثة و الربط العاملي تشومسكي،ص.08.
[2] ينظر: شفيقة العلوي ،العامل بين النظرية الخليلية الحديثة و الربط العاملي تشومسكي،ص.10.

وفي ختام هذا الكتاب القيم نقول أن العامل موجود في التراث العربي و كذلك موجود عند الغرب لكن يختلف حسب نظرة كل عالم لغوي له وحسب المصطلحات التي اطلقت عليه ،و عليه نقول أن علماؤنا العرب قد أخلصوا في دراستهم للغة العربية ،لغة القرآن الكريم، فبذلوا جهودا محمودة لكشف تلك اللغة الشريفة بكل ما أتوا من ثاقب نظر و عمق إدراك وتبقى لغتنا مستمرة لكشف ظواهرها و أنظمتها التي تسير عليه مع الأخذ بما قاله العلماء القدماء و تطويره وفقا لمتطلبات العصر الحديث و أدواته.

دراسة و تقويم :

أ-الحكم على الكتاب في الحقل المعرفي الذي ينتمي إليه:

يعد كتاب أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث لصاحبه حسام البهنساوي مرجع علمي مهم لأي باحث في مجال الدراسات اللغوية و ذلك نظرا لما يحتويه من موضوعات و قضايا هامة خاصة بالتراث العربي و كيفية ربطه بالنظريات اللسانية الحديثة و يمكن أن نجمع أهم النقاط الخاصة بهذا الكتاب على النحو التالي:

1- يعتبر الربط بين التراث اللغوي العربي و نظريات البحث اللغوي الحديث من أهم القضايا التي شغلت أذهان العلماء اللغويين العرب من أجل الإشارة إلى أن الموروث اللغوي العربي فيه قضايا جد مهمة مثل اللغة العربية و النحو و الصوت و لابد من ربطها بتلك النظريات الحديثة.
2- بيان أن الركيزة الأساسية التي انطلق منها اللغويين الغربين في دراسة أو بناء نظرياتهم هو التراث العربي.
3- إن الدراسة العربية القديمة على الرغم من امتدادها في القدم تبقى ركيزة تنطلق منها كل محاولة لدراسة اللغة العربية و تفسيرها و فهمها.
4- إن الجهود المبذولة من قبل العلماء العرب القدامى في مجال الدرس اللغوي لا يستهان بها لذلك يجب إحياء هذا التراث بربطه بالمناهج اللسانية الحديثة.
5- الربط بين التراث اللغوي عند العرب و علم اللغة الحديث كان يدور معظمه حول مفهوم اللغة و النحو العربي لأنهما من أقدس الدراسات عند العرب.
6- رغبة الدكتور حسام البهنساوي في إحياء التراث اللغوي العربي و هدفه في أن يبين أن التراث العربي لا يمكن أن يستهان به لذلك يجب على الغرب الاعتراف بقيمة التراث العربي في بناء مناهجهم و نظرياتهم.

ب-أبرز الإضافات النوعية التي جاء بها الكاتب من الجوانب المعرفية:

1- هذا الكتاب الموضوع أمامنا و الذي قمنا بقراءته و محاولة استلهام وفهم كل ما قرأناه اكتشفنا ولو بخبرتنا المتواضعة – أن للدراسات اللغوية العامة ،و الدراسات النحوية و الصوتية ،و لأعلامهما أو بالأحرى للعلماء المتخصصين في هذا المجال أمثال : سيبويه، ابن جني ،الخليل بن أحمد

الفراهيدي...باع قوي و دور كبير في النهوض بهذا النوع من الدراسات اللسانية التي قام عليها جل البحث اللغوي العربي و الغربي دون استثناء و الشهادة الدامغة لأكثر المفكرين الغربيين أمثال :تشومسكي ، زغريد هونكة ، غوستاف لوبان ، ألفارو، جورج مونان...لتثبت و تؤكد ذلك .

2- دعوة إلى الحفاظ على التراث اللغوي خاصة اللغة العربية فهي تشتمل على خزائن قيمة في تراثها ،نحن في أمس الحاجة إليها و إلى كشف هذه الكنوز التي تحتويها ثم ربطها بما هو جديد من نظريات علمية ،وبيان قيمتها النقدية .

3- أن كثير من العلماء الغربيين درسوا في هذا التراث القيم و ألفوا مؤلفات حول التراث اللغوي العربي أمثال تشومسكي و برجستراسر...الخ.

4- بين لنا هذا الكتاب أن هناك من العلماء الغربيين يقر بتفوق العلماء العرب في مجال الدراسات الصوتية.

5- إشارة روبنز إلى أهمية الفكر اللغوي العربي إشارة جديرة بالاعتبار حيث يؤكد أن أي باحث لا يستطيع أن ينكر ما قدمه العرب من دراسات قيمة للغتهم.

6- هذا الكتاب يثبت لنا أن هناك علماء لغويين لا يزالوا يهتموا بالتراث اللغوي العربي أمثال حسام البهنساوي.

7- وكذلك من بين الإضافات النوعية التي جاء بها الكتاب أن هناك علماء يهود قد جعلوا النموذج النحوي للغة العربية أساسا لوضع قواعدهم العبرية.

ج- الاعتراضات و الانتقادات التي وجهت للكتاب:

لم توجه انتقادات مباشرة لكتاب البهنساوي المعنون بـ" أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث" ،لكن من خلال قراءتنا لهذا الكتاب القيم استنتجنا بعض الملاحظات و نرجوا أن نكون قد وفقنا و لو في جانب منها فكانت الملاحظات على النحو التالي :

1- لقد سلط الضوء على عدد من القضايا الهامة و الأساسية من مثل مفهوم اللغة، حيث قام بتوضيح هذه المفاهيم عند العلماء العرب القدماء و ربطها بما هو مستجد عند الغرب.

2- أسلوب الكاتب سلس وواضح وأفكاره متسلسلة و منطقية.

3- وقد يلام الكاتب لعدم استخدامه عدد كبير من المصادر و المراجع ولكن رغم قلتها فهي دالة حسب رأينا.

4- يؤخذ على الكاتب عدم التوسع في عرض بعض المفاهيم و المصطلحات مثل مصطلح الافتراض والتأويل ،منهج المعيارية...

5- يؤخذ على الكاتب عدم التصريح بالدوافع التي دفعته إلى دراسة الموضوع ، فهو لم يصرح مباشرة بالدافع ولكن حتى عند القراءة الفعالة تكتشف ذلك كما أشرنا سابقا.

6- وهو أيضا لم يصرح بالمنهج الذي اعتمده في هذه الدراسة.

7- تسليط الضوء على اهم المفاهيم التي قدمت للغة عند العرب و الغرب.

8- كذلك عدم ترتيب المصادر و المراجع في الفهرست فكان من المفروض البدأ بالمصادر القديمة ثم الحديثة.

9- كذلك لم يضع خاتمة يجمع فيها أهم النقاط التي توضح هذا الترابط بين التراث اللغوي العربي و نظريات البحث اللغوي الحديث.

الخاتمة :

وفي نهاية هذه الدراسة التي قمنا بها حول كتاب الدكتور حسام البهنساوي أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث خرجنا بالنتائج التالية:

1- إن الدكتور حسام البهنساوي أسهم إسهاما متميزا في خدمة اللغة العربية وفي الحفاظ على هذا التراث القيم و يظهر ذلك جليا في البحوث الكثيرة و الدراسات العلمية التي أنجزها و المؤلفات الضخمة التي تدعو إلى الحفاظ على التراث اللغوي العربي.

2- أننا في عصر تلعب فيه اللغة دورا مهما في حياة الامم ،فاللغات المسيطرة تحرص على التهام اللغات المنافسة لها أو إضعافها لذلك يجب أن نحافظ على لغتنا و تراثنا وأن نعتز به.

3- إن العلماء العرب قد جمعوا في تعريفاتهم عدادا من المسائل تماثل نظائرها عند العلماء الغربيين المحدثين و تكاد تقاربهم من حيث الكمية ،في حين ذكر العلماء العرب ثلاثة مسائل لم يذكرها علماء الغرب وهذه المسائل هي :اللغة تتكون من كلمات ،الإصلاح قائم بشكل أو أخر ضمن اللغة ،اللغة فعل لساني.

4- بعد المقارنة التي أجراها البهنساوي بين مفهوم اللغة عند العلماء العرب القدامى و العلماء اللغويين الغربيين المحدثين أثبت مدى إحاطة العلماء العرب القدامى بمفهوم اللغة و إدراكهم للعديد من المسائل الهامة التي تختص بها اللغة، وأن الفروق يسيرة للغاية فيما بينهم على الرغم من البعد الزمني.

5- إن الدراسة العربية القديمة ،على الرغم من امتدادها في القدم تبقى ركيزة تنطلق منها كل محاولة لدراسة اللغة العربية و تفسيرها وفقها.

6- بعث التراث العربي و إحيائه من جديد و استقرائه ليسمح لنا بالوصول إلى نتائج مهمة تضع أقدامنا على بداية الطريق لفهم الدراسات اللغوية الحديثة.

7- كذلك ما جاء في هذا الكتاب أن كثيرا من علماء الغرب تناولوا التراث العربي في دراساتهم وألفوا كتبا نحو هذا التراث اللغوي العربي من مثل برجشتراسر و يوهان فك وغيرهم كثير.

8- يحاول البهنساوي هنا أن يثبت أن كل محاولة أو دراسة قام بها تشومسكي كانت منطلقاتها وأسسها وركائزها دراسات الخليل و سيبويه ،و الجرجاني.

9- أن نظرية العامل قد ابتدأت من الخليل و انتهت عند تشومسكي

10- يعتبر سيبويه و الخليل و ابن جني من أهم العلماء الذين لهم الدور الكبير في النهوض بهذا النوع من الدراسات اللسانية التي قام عليها جل البحث اللغوي الغربي.

وفي الأخير نشكر كل مد لنا يد العون في إنجاز هذا العمل المتواضع و نرجو أن نكون قد وفقنا في إعطاء هذا الكتاب حقه من الدراسة و شكرا.

وقد تم بعون الله هذا البحث

يوم 2017/05/16

القرآن الكريم برواية ورش

المصادر و المراجع المعتمدة:

1. إبتسام احمد حمدان ،أسس نحوية ولغوية في التفكير البلاغي عند عبد القادر الجرجاني ، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، فصيلة محكمة ،ع(04) ، سنة 2010.

2. إبراهيم عبد الله رفيدة ،بحوث في اللغة و الفكر ،منشورات الدعوة الإسلامية ،ط(01)،2005م

3. تمام حسان ،اللغة العربية معناها و مبناها،مكتبة عالم الكتب، القاهرة – مصر ،ط(05)،2006 م.

4. تمام حسان ،اللغة بين المعيارية و الوصفية ،مكتبة عالم الكتب، القاهرة – مصر ،ط(04)،2000م.

5. تمام حسان، مناهج البحث في اللغة ،ط(01)،دار الثقافة البيضاء،(د-ت-ن)،1916.

6. جورج مونين ،تاريخ علم اللغة العام منذ نشأتها حتى القرن العشرين ،ترجمة :بدر الدين القاسم ،مطبعة جامعة دمشق،(د.ط)،1972م.

7. حاتم صالح الضامن ،الموسوعة الصغيرة 47،نظرية النظم تاريخ و تطور،

8. حاتم علو الطائي ،نشأة اللغة و أهميتها ،مركز البحوث و الدراسات التربوية ،ع(06)،نيسان،2009م.

9. حسام البهنساوي ،أهمية الربط بين التفكير عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث ،ط(01)،مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة-مصر.

10. خليل أحمد عمايرة ،المسافة بين التنظير النحوي و التطبيق النحوي ،ط(01)،دار وائل للنشر و التوزيع،الاردن،2004م.

11. شفيقة العلوي ،العامل بين النظرية الخليلية الحديثة و الربط العاملي تشومسكي ،حوليات التراث ،ع(07)،2007م،المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة ،الجزائر.

12. صالح بلعيد، التراكيب النحوية و سياقتها المختلفة عند الامام عبد القاهر الجرجاني،(د-ط)،ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر،1994م.

13. صفوت علي صالح، محاضرات في علم اللغة العام، (د-ط)، (د-ت-ن).

14. عبده الراجحي، النحو العربي و الدرس الحديث(بحث في منهج)،مكتبة دار النهضة العربية للطباعة والنشر،بيروت،1997م.

15. علي أبو المكارم ،تقويم الفكر النحوي ،دار عزيب ،القاهرة ـمصر، (د.ط)،1979م.

16. علي زوين ،منهج البحث اللغوي بين التراث و علم اللغة الحديث "دراسات" ،دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ،ط(01) ،1986م.

17. كمال بشر ،التفكير اللغوي بين القديم و الجديد ،دار غرب ،القاهرة-مصر،(ذ.ط)،2005م.

18. محمد عبد الشافي القوصي ، عبقرية اللغة العربية، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية و العلوم والثقافة،(د.ط)،الرباط،المغرب،2016م.

19. محمد محمد يونس علي ،مدخل إلي اللسانيات ،ط(01)،دار الكتاب الجديد المتحدة،بيروت،لبنان،2004م.

20. محمد عيد ،أصول النحو العربي في نظر النحاة و رأي ابن مضاء علم اللغة الحديث ،عالم الكتب ،القاهرة ـ مصر ،ط(04)،1979م.

21. محمود فهمي حجازي ،علم اللغة بين التراث و المناهج الحديثة.

22. مسعود صحراوي ،التداولية عند العلماء العرب ،ط(01)، دار الطليعة،بيروت،لبنان،2005م.

23. مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب ،ط(05)،دار الكتاب،بيروت،لبنان،1994.

24. ميشال زكريا ،قضايا ألسنية تطبيقية ،دار العلم للملايين، بيروت ،لبنان، ط(01)،يناير1993م.

25. نورية شيخي ،الجملة في ضوء الدراسات اللسانية المعاصرة ،النص القرآني أنموذجا ،ط(01) دار المتنبي،سوريا،2013م.

فهرس الموضوعات:

مقدمة: .....أ
البطاقة الفنية للكتاب: 6
المدخل : 8
قراءة في كتاب الدكتور حسام البهنساوي: 8
ومن أهم الدواعي التي جعلت المؤلف يكتب هذا الكتاب ما يلي: 10
أ)وظيفة اللغة عند العلماء العرب: 12
ب)وظيفة اللغة عند العلماء الغربيين: 12
العرض: 15
إشكالية البحث: 15
الفصل الأول (01-19): 20
1-مفهوم اللغة عند العلماء العرب: 20
2-مفهوم اللغة عند العلماء الغربيين: 25
الفصل الثاني: 33
1- الجهود النحوية عند العلماء العرب(20-60) : 33
1-1المنهج التقليدي : 34
1-2المنهج الوصفي البنيوي: 39
1-3المنهج التوليدي التحويلي: 41
2-نظرية العامل بين الخليل و تشومسكي: 57
3-مقارنة بين نظرية العامل عند الخليل و عند تشومسكي: 61
دراسة و تقويم: 65
أ-الحكم على الكتاب في الحقل المعرفي الذي ينتمي إليه: 65

ب-أبرز الإضافات النوعية التي جاء بها الكاتب من الجوانب المعرفية: 65
ج- الاعتراضات و الانتقادات التي وجهت للكتاب: 66
الخاتمة : 69
المصادر و المراجع المعتمدة:.....72
فهرس الموضوعات: 76
ملحق:.....79

ملحق

الدكتور حسام البهنساوي

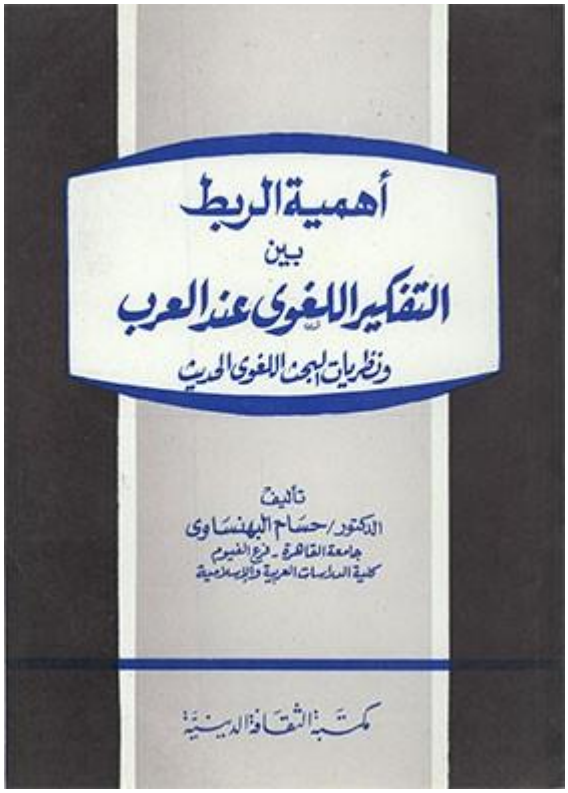

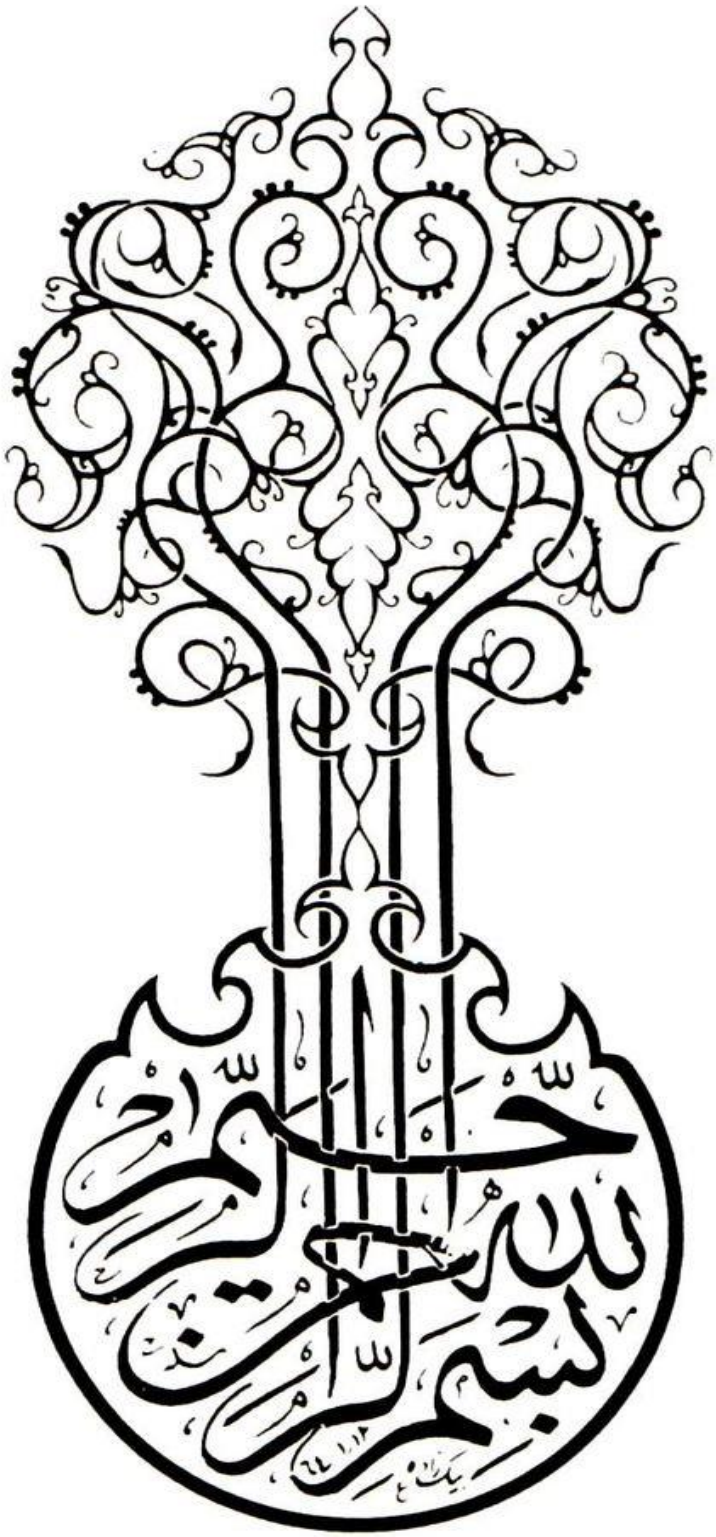
بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

مدخل

العرض

الفصل الأول

الفصل الثاني

دراسة و تقويم

خاتمة

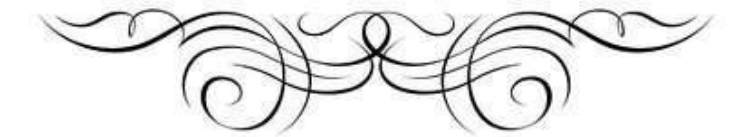

قائمة المصادر و المراجع

بطاقة فنية

ملحق

فهرس الموضوعات